لما أنهى أندريه سيميونوفيتش ملاحظاته الغريبة تلك ، وأعطى لأقواله تلك النتيجة المنطقية القوية ، كان الاجهاد قد أنهكه حتى أن وجهه كان سابحا في العرق . والمؤسف أنه ما كان يستطيع التعبير عن آرائه بطلاقة باللغة الروسية ، رغم أنه لم يكن يعرف لغة أخرى غيرها. لذلك فقد بدا فجأة منهوكا بل ومهدما بعد تلك المحاولة الخطابية . غير أن تدخله أحدث تأثيرا خارقا اذ كان يتحدث بلهجة لا تنبىء عن تدبر سابق ، بل تطفح بالاقناع حتى أن كل السامعين صدقوه .

شعر بيير بيتروفيتش أن القضية راحت تدور ضده بشكل خطير فهتف :

ـ ماذا تعنيني الأسئلة السخيفة الحمقاء التي مرت برأسك ؟ انها ليست دليلا ! يمكن أن تكون قد تخيلت كل هذا ! انني أقول لك بأنك كاذب ، أيها السيد ! انك تكذب وتفتري علي بسبب ضغينة في صدرك ضدي ، بل وعلى التأكيد لأنك سخطت علي حينما وجدتني لا أميل الى نظرياتك الاشتراكية الملحدة ، هذا كل ما في الأمر !

غير أن تلك الحركة الدفاعية لم تكن لتحمي بيير بيتروفيتش ، بل على العكس فقد ارتفعت الهمسات والغمغمات من كل الجهات .

صرخ ليبيزياتنيكوف :

ـ آه ! هذا هو اذن هدفك ! انك تكذب ! ادع الشرطة . لسوف أقسم اليمين ! ان هناك أمرا واحدا فقط لا أستطيع فهمه . ما هي الأهداف التي من أجلها غامرت بهذه العملية المنحطة ! أوه ! يا للرجل الحقير النذل !

وأخيرا تقدم راسكولنيكوف وقال بصوت مرتفع :

ـ انني أستطيع ، أنا ، أن أفسر سبب فعلته هذه . وانني على استعداد اذا اقتضى الأمر أيضا للتحدث أمام العدالة .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كان يبدو هادئا شديد الاعتداد بنفسه ، وكانت نظرة واحدة الى وجهه تكفي ليشعر المجتمعون أنه وحده عارف دقائق المسألة ، وأن النتيجة لن تلبث حتى تظهر .

تابع راسكولنيكوف مخاطبا ليبيزياتنيكوف مباشرة :

ـ لقد فهمت الآن كل شيء . منذ بدء هذه المسألة كنت أرتاب في وجود تدبير قذر وراء هذه القصة . كنت أرتاب في ذلك اثر ملابسات خاصة أعرفها وحدي ، وسأذكرها قبل كل شيء لأنها هي عقدة القضية . وانك أنت يا أندريه سيميونوفيتش الذي فتحت عيني نهائيا بأقوالك الثمينة . انني أرجو الجميع أن ينصتوا . ان هذا السيد (وأشار الى لوجين) خطب مؤخرا فتاة ، ولكي أكون أكثر دقة أقول : انه خطب أختي أفدوتيا رومانوفنا راسكولنيكوف . لكنه عندما وصل الى بطرسبورغ أول أمس تشاحن معي في لقائنا الأول فطردته من غرفتي بحضور شاهدين . ان هذا الرجل شديد الخبث ... أول أمس ـ وكنت لا أعرف أنه يقطن في غرفة مؤثثة عندك يا أندريه سيميونوفيتش ـ وأقصد في اليوم الذي تشاجرنا فيه ، شاهدني بنفسه أعطي بعض النقود الى السيدة كاترين ايفانوفنا بصفتي واحدا من أصدقاء زوجها لتقوم بنفقات دفن زوجها المرحوم السيد مارميلادوف . فكتب فورا الى أمي يبلغها أنني أعطيت كل نقودي ليس الى كاترين ايفانوفنا بل الى صوفي سيميونوفنا ، واستعمل بهذا الخصوص أقبح التعابير وأبشعها ليصف صوفي سيميونوفنا أو بالاحرى ليبين علاقاتي مع صوفي سيميونوفنا . وقد هدف من كل هذا ـ كما تفهمون ـ الى اثارة الشحناء بيني وبين أمي وأختي باطلاعهما على أنني أبعثر المال الذي ترهقان نفسيهما في تدبيره لسد حاجاتي، بشكل يثير الاشمئزاز . والبارحة مساء خلال مقابلة جرت مع أمي وأختي بحضوره كشفت عن

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الحقيقة وأثبت أني أعطيت المال الى كاترين ايفانوفنا من أجل نفقات الدفن وليس الى صوفي سيميونوفنا التي لم أكن أعرف وجهها قبل ذلك الحادث مطلقا . وأضفت الى أقوالي أن بيير بيتروفيتش لوجين رغم كل ميزاته ومواهبه لا يبلغ منزلة موطىء أقدام صوفي سيميونوفنا التي تحدث عنها بأسوأ العبارات . ولما سألني عما اذا كنت أضع صوفي سيميونوفنا في حضرة أختي وفي سويتها أجبته بأنني فعلت ذلك في ذلك اليوم بالذات . رأى أن أمي وأختي لم تستجيبا لرغبته في التخاصم معي استنادا الى أقواله وحدها ، فغضب غضبا شديدا وراح يحدثهما بعبارات فاحشة لا يمكن التغاضي عنها . فقطعت أختي كل علاقة له بها وباء بما يستحقه من الاحتقار اذ أنه طرد شر طردة . كل ذلك حدث مساء البارحة . والآن ، انني أطلب اليكم الاصغاء والانتباه : تصوروا أنه لو استطاع في هذه اللحظة أن يثبت أن صوفي سيميونوفنا ليست الا لصة سارقة فانه كان يستطيع بعد ذلك أن يثبت لأمي وأختي أنه كان على صواب في ظنونه بها ، وأن يؤكد لهما أن سبب غضبه لم يكن سوى لرفع صوفي سيميونوفنا الى مرتبة أختي . وبعبارة أصح ، كان يستطيع ايهامهما أنه بهجمه علي كان يدافع عن شرف أختي ويحافظ عليها بوصفها مخطوبته . والخلاصة أنه كان سيجد بفضل ذلك وسيلة لخلق التنافر بيني وبين أسرتي والعودة الى سابق علاقاته معها . بل وأقول أيضا أنه بذلك كان يهدف الى الانتقام كذلك لأنه يعرف أن شرف صوفي سيميونوفنا وراحتها ثمينان عندي عظيمان في المرتبة . هذه كانت خطته ! هذا هو تفسير الأمر وهذا هو السبب الذي جعله يتصرف على هذا الشكل .. لا يمكن أن يكون هناك سبب آخر .

بمثل هذه العبارات أنهى راسكولنيكوف « خطابه » أمام ذلك الحشد ، وهو يقاطع غالبا بعبارات التعجب والاستغراب من المستمعين

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الذين برهنوا على اهتمام كبير بأقواله . كان راسكولنيكوف يتحدث بلجهة واضحة هادئة دقيقه وبوضوح لا يقبل الجدل: كان صوته المدوي ولهجته المقنعة ووجهه القاسي قد أحدث في الجمهور تأثيرا عجيبا .

صرخ ليبيزيا تنيكوف ، وهو شديد الانفعال مؤيدا :

ـ نعم ، نعم هو ذلك ! ينبغي أن يكون الامر كذلك لأنه بالضبط سأل حال دخول صوفي سيميونوفنا الغرفه « اذا كنت هناك واذا كنت قد شاهدتك في عداد الموجودين لدى كاترين ايفانوفنا » . لقد أبعدني الى قرب النافذة وألقى علي هذا السؤال همسا . أنه كان اذن يريد أن تكون حاضرا ! نعم انه كذلك ، كذلك تماما !

كان لوجين صامتا وعلى شفتيه ابتسامة مقيتة ، وكان رغم ذلك شديد الامتقاع يخيل للناظر اليه انه يبحث عن مخرج لنفسه من تلك الورطة . ولعله كان على استعداد لترك القضية في تلك المرحلة والخروج من الباب ، ولعله كان في تلك اللحظة مستحيلا لأنه يؤكد اعترافه بصحة التهم التي وجهت اليه : أي أنه افترى علنا على صوفي سيمبونوفنا . وكان الموجودون قد أثارتهم العبارات والحجج ، فراحوا يتحمسون ، حتى أن ضابط الاعاشة نفسه ، رغم أنه لم يفهم القضية كلها ، رفع عقيرته وراح بصوت أعلى من أصوات الآخرين عارضا على لوجين شروطا مزعجة . وكان بينهم عدد من السكان هرعوا من غرفتهم توا فكانت هذه الفئة ممتلكة حدة ذهنها لم يقرب أفرادها الشراب . والبولونيون الثلاثة أنفسهم كانوا في انفعال عنيف يهتفون باغتهم ما معناه : « ان هذا الرجل لص ! » ويتمتمون بعبارات التهديد ضد بيير بيتروفيتش . أما سونيا فقد كانت كمن استفاق للتو من اغماء عميق : تصغي بجهد دون أن تفهم كل شيء . كانت عيناها تلاحقان راسكولنيكوف وهي تشعر أنه وحده سندها ، وكانت كاترين ايفانوفنا تتنفس بصعوبة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وتطلق من صدرها الزفرات وهي شديدة الانهاك . وكان أكثر الوجوه بلاهة وجه أميلي ايفانوفنا التي كانت فاغرة فاها بذهول . شيء واحد لم يفتها فهمه وهو أن بيير بيتروفيتش كان في مأزق !

أراد راسكولنيكوف أن يتابع كلامه غير أن الموجودين لم يدعوه يفعل . كانوا يصيحون معا ويتكاكؤون حول لوجين يمطرونه بالسباب والتهديدات ، لكن بيير بيتروفيتش احتمل ذلك كله . ولما تأكد من أن حملته ضد صوفي سيميونوفنا قد باءت نهائيا بالفشل ، عمد الى الصفاقة يتسلح بها .

قال وهو يشق لنفسه طريقا من الازدحام :

ـ اسمحوا ، اسمحوا ، أيها السادة ، لا تقطعوا علي الطريق . كفوا من فضلكم عن تهديدي . أؤكد لكم أن هذا عبث وأنكم أنتم الذين ستسألون أمام القضاء لأنكم تذرعتم بالعنف لاخفاء جريمة . ان السرقة ثابتة تماما ولسوف أشكو الى القضاء . ان القضاة ليسوا عميانا ولا سكارى . انهم لن يصدقوا ولا يمكن أن يصدقوا زنديقين فاجرين ثائرين ملحدين يتهماني بغية الانتقام مني لاسباب شخصية كما اعترفوا بذلك بكل حماقة ... نعم اسمحوا !

قال ليبيزيا تنيكوف باحتقار :

ـ لتنزح نهائيا عني ، بارح غرفتي على الفور ولينتزع كل شيء بيننا ! كلما أفكر أنني كنت أنهك نفسي في شرح ... منذ خمسة عشر يوما !

ـ لكنني بنفسي كنت منذ قليل أنبئك بأنني سأرحل يا أندريه سيميونوفيتش ، بينما كنت أنت تلح على بقائي . انني أضيف الآن كلمة واحدة : وهي أنك سخيف . أتمنى لك أن تشفي عقلك وعينيك المريضتين . اسمحوا أيها السادة !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

نجح في التسلل ، غير أن ضابط الاعاشه لم يقنع بتلك النتيجة ولم يعتقد أن الامر ينتهي بمجرد السباب ، فرفع كأسا عن المائدة وألقاها بكل قواه باتجاه بيير بيزوفيتش بينما فقد ـ هو ـ توازنه فسقط على المائدة محدثا ضجة كبيرة . أما القدح فقد مضى مباشرة الى أميلي ايفانوفنا التي راحت تصرخ صرخات حادة . ذهب بيير بيتروفيتش الى غرفته فقضى فيها نصف ساعة غادرها بعدها وبارح البناء كله !

كانت سونيا ، بسبب خجلها الطبيعي ، تعرف أن أبا كان يستطيع القضاء عليها ، وأن التعديات والاهانات يمكن أن تنهال عليها من قبل أي كان دون أن يسأل عن عمله . لكنها مع ذلك كانت تؤمن حتى تلك اللحظة أن باستطاعتها تحاشي المصائب الكبرى على شكل من الاشكال، بالحكمة والتواضع والاطاعة والتذلل للافراد والجماعات . ولا شك أنها كانت تستطيع احتمال ذلك باستسلام وتقبل . أما في تلك اللحظة ، فانها ما كانت قادرة على امتلاك نفسها على الرغم من انتصارها وانصاف الناس لها . قدرت الأمور قدرها فشعرت بأن ذلك الخلي والنبذ اللذين تعرضت لهما ، والاهانة التي وجهت اليها ، تعتصر قلبها اعتصارا ألما ولما لم تستطع المقاومة ، فرت من الغرفة وركضت باتجاه مسكنها . وكان ذلك منها فور خروج لوجين . أما أميلي ايفانوفنا فانها في اللحظة التي أصابها القدح فقدت أعصابها بسبب عاصفة الضحك التي انفجرت من أفواه الموجودين ، فراحت كالمجنونة تهاجم كاترين ايفانوفنا ؛ معتبرة أنها وحدها مسؤولة عن كل ما جرى . راحت تصرخ وقد أعماها الغضب :

ـ اخرجي من هنا ! فورا ! الى الأمام سر !

كانت وهي تزعق بمثل هذه الكلمات ، تأخذ كل ما يقع تحت يدها وتلقي به الى الارض . وكانت كاترين ايفانوفنا ـ التي كانت مستلقية

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

على سريرها من الانهاك ـ في حالة مؤسية من الألم . فاندفعت المسكينة بمجهود كبير نحو أميلي ايفانوفنا ، غير أن العراك لم يكن متكافئا اذ راحت هذه تهزها وكأنها غصن صغير .

راحت المسكينة تزمجر والعبرات تخنقها :

ـ كيف ! ألا يكفي أن تكون هذه المخلوقة قد افترت على سونيا ؟ ها هي ذي تلتفت اليّ ؟ كيف ! أأطرد يوم دفن زوجي ! أبعد أن تقبل ضيافتي ألقى الى الشارع مع أيتامي ! لكن الى أين أمضي ، رباه ، أيجوز أنه لم يبقَ في الارض ، أيجوز أنه لم يبقَ في الارض عدل ؟ من الذي تحميه يا رب اذا لم نكن نحن الايتام ! لكننا سنرى . هناك قضاة على الارض ومحاكم . لسوف ألجأ الى هؤلاء ! فورا ! انتظري قليلا ، أيتها الكافرة . بوليا ابقي مع الاولاد ، سأعود بعد قليل . انتظروني في الشارع اذا اقتضى الامر . سوف نرى اذا كانت العدالة موجودة .

ألقت على رأسها الشال الأخضر العتيد المصنوع من قماش « المدام »، والذي تحدث عنه مارميلادوف من قبل الى راسكولنيكوف ، وشقت كانرين ايفانوفنا طريقها بين الحشد الصاخب من المستأجرين الذين ما برحوا يتوافدون الى الغرفة . هبطت السلم وهي تنتحب باكيه آملة في البحث عن العدالة والانصاف مهما كلفها الامر . أما بوليا فقد انطوت على نفسها مع اخوتها من الرعب قرب الصندوق . وراح الصغار الثلاثة ينتظرون عودة أمهم خائفين وجلين بينما ظلت أميلي ايفانوفنا تصخب في الغرفة وترعد وهي تلقي على الارض كل ما تصادفه . أما المستأجرون فقد راحوا يتناقشون بعنف وحماس وكل جماعة منهم تنظر الى الامر من زاويتها الخاصة ، فكاز بعضهم يتحدث والبعض الآخر يرفع عقيرته بالغناء معربدا .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فكر راسكولنيكوف في نفسه :

ـ لقد حـــل الوقت بـــالنسبة اليك • حيينا ، سنرى يا صوفي سيميونوفنا ماذا ستقولين الآن •

ومضى متجها نحو مسكن سونيا •

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

٤

أقام راسكولنيكوف من نفسه محاميا جريئا متحمسا عن سونيا ضد لوجين رغم أنه كان يقاسي في سره كثيرا من الذعر والألم • لكنه شعر بعد آلام ذلك الصباح برغبة حقيقية في تبديل عواطفه التي أضحت لا تحتمل ، وخصوصا تلك العاطفة التي كانت تدفعه الى التدخل لمصلحة سونيا • وكان يفكر أيضا في موعده القريب مع سونيا ، ذلك الموعد الذي كان يقلقه أحيانا بوحشية • كان « يجب » عليه أن يطلعها على قاتل اليزابيت ، وكان يشعر بسبب ذلك بعذاب حقيقي ، فراح يلوح بيده وكأنه يطرد تلك الرؤيا • وهكذا عندما خرج من مسكن كاترين ايفانوفنا وهتف لنفسه : « حسنا يا صوفي سيميونوفنا، ماذا ستقولين الآن ! » كان يهتف بهذا الكلام تحت تأثير الانفعال الذي أحدثه في نفسه انتصاره الأخير على لوجين • غير أن أمرا شاذا وقع له بعد ذلك : شعر حينما بلغ مسكن كابيرناوموف بأن قواه قد خانته ، وأنها أسلمت مكانها الى الخوف • توقف حائرا أمام الباب قليلا وطرح على نفسه السؤال الغريب التالي : « هل يجب أن أقول من قتل اليزابيت ؟ » • كان السؤال غريبا لأنه شعر فجأة في تلك اللحظة بالذات أنه ليس فقط ممنوعا عليه اخفاء ذلك ، بل انه يستحيل كذلك أن ينافي ذلك الاعتراف الحقيقي ولو بأتفه تفصيل • لم يكن يعرف لم كان ذلك مستحيلا ، بل كان يشعر به فقط • وكان ذلك الشعور بالضعف أمام تلك الضرورة الملحة يثقل عليه ويكاد أن يستحقه • ولكي يضع حدا لأفكاره وقلقه فتح الباب بعنف ونظر من العتبة الى سونيا • كانت جالسة مسندة مرفقيها الى المنضده مخفية وجهها بين يديها • فلما رأت راسكولنيكوف

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

نهضت مسرعة وجاءت تستقبله وكأنها كانت بانتظاره .

هتفت بشدة ، وهي تعود به الى وسط الغرفة :

ـ ماذا كان سيحل بي لولاك ؟

بدا كأن تلك العبارة كانت كل ما تريد التفوه بـه والافصـاح عنه بسرعة كلية ، لذلك فقد صمتت فور النطق بها وراحت تنتظر .

اقترب راسكولنيكوف من المنضدة وجلس على المقعد الذي بارحته سونيا منذ حين ، فلبثت كذلك واقفة على قيد خطوة منه كأمس تماما .

قال فجأة بصوت متهدج :

ـ اذن ، يا سونيا . ألا ترين أن القضية كلها كانت تقوم على أساس « مركزك الاجتماعي والعادات التي تنجم عنه » . هـل فهمت ذلـك منذ حين ؟

ظهر على وجه سونيا طابع الألم ، فقاطعته بقولها :

ـ لا تحدثني كحديث البارحة أرجوك . لا تعاود الحديث ! كفاني عذابا ما لقيت .

اغتصبت ضحكة ، خشية أن تزعجه ملاحظتها ، وأردفت :

ـ لقد كنت حمقاء اذ بارحت المسكن منذ حين . ماذا يحدث هنـاك الآن ؟ وددت أن أعود لولا أن فكرت في أنك سوف تحضر !

أطلعها راسكولنيكوف على أن أميلي ايفانوفنا طردت الأسرة مـن المسكن وأن كاترين ايفانوفنا خرجت قاصدة مكانـا ما « للبحث عـن العدالة » .

أطلقت سونيا صرخة قصيرة ، وهتفت :

ـ آه ، يا رب ! لنعد على الفور .

ومدت يدها تأخذ دثارها فصرخ راسكولنيكوف بلهجة غاضبة :

ـ دائمـا نفس الشيء . ليس في رأسك الا التفكير فيهم ! امكثي لحظة معي .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لكن ... كاترين ايفانوفنا ؟

ـ كاترين ايفانوفنا لن تستغني عنك . لسوف تحضر بنفسها الى هنا طالما أخرجت من الدار .

وأصاف بخشونة :

ـ فاذا لم تجدك فالخطيئة خطيئتك .

جلست سونيا على مقعد وهي فريسة الشك الأليم والحيرة الشديدة، بينما صمت راسكولنيكوف وراح يحدق في الارض يناقش فكرة في رأسه .

شرع يقول دون أن ينظر الى وجه سونيا :

ـ لنفرض الآن أن لوجين لم يكن يرغب في دلك . أما اذا كان راغبا فيه وكانت المسألة داخلة في حسبانه وتصميماته فانه كان قـــادرا على سجنك في اصلاحية لولا ليبيزياتنيكوف وأنا ، أليس كذلك ؟

فأجابت بصوت ضعيف :

ـ نعم .

وراحت تكرر هذه الكلمة ساهمة قلقة .

ـ كان يمكن أن لا أكون موجودا هناك ! أما ليبيزيا تنيكوف فلقد كان موجودا بفعل الصدفة البحتة .

لبثت سونيا صامتة .

ـ اذن ؟ لو أنه وضعك في السجن ، ماذا كان سيحدث عندئذ ؟ هل تذكرين ما قلته لك البارحة ؟

ومن جديد ظلت سونيا صامتة ، وظل هو ينتظر جوابها فترة . ولمـــا لم تجب قال وهو يغتصب ضحكة :

ـ أتدرين ؟ كنت أعتقد أنـك ستصيحين أيضا : « آه ! لا تكلمني بذلك ! اصمت !» ...ماذا ، ألا زلت صامتة ؟ ما بك؟ ينبغي أن تتحدث

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

بشيء من الاشياء ، بل وانني أتلهف لمعرفه أسلوبك في حل « مسألة » كما قال ليبيزيا تنيكوف (وبدا كأنه على وشك الهذيـــان) • كلا ، صدقيني انني أتحدث جديا • تصوري يـا سونيا بأنك كنت تعرفـين سلفا كل نوايا لوجين ، وأنك مأكدة كل التـأكيد مـن أن كاترين ايفانوفنا سيقضي عليها بسببه ، وكذلك سيقضي على اولادها ، وأنـك ستكونين مهانة مرذولة ــ رغم أنك مستعدة لاحتمال هذا ــ وأن بوليا كذلك ••• لأن ذلك هو الطريق الوحيد الذي سيفتح أمامها • حسنا ، بعد كل هذا ، اذا كان أمر بقاء هذا أو هؤلاء على قيد الحياة منوطا بك أو بمعنى أصح : أن يبقى لوجين على قيد الحياة مرتكبا آثامه مسترسلا في غيه أو أن تموت كاترين ايفانوفنا ، في مثل هذه الحالة أي طريـق تقررين سلوكها ؟ وموت أي منهما تفضلين ؟ انني أسألك رأيك •

نظرت اليه سونيا بكآبة • لقد خمنت أن وراء هذه الكلمات المتعثرة فكره بعيدة ذكرتها بشيء ما •

قالت وهي تنظر اليها بفضول مضطرم :

ــ كنت أتوقع أن تلقي عليّ سؤالا من هذا النوع •

ــ حسنا ، ليكن ، أي طريق كنت تنتقين ؟

فأجابت سونيا بفور :

ــ لِمَ تسألني عن الامر الذي يمكن أن يقع ؟

ــ اذن من الافضل أن يبقى « لوجين » ويستمر في الحياة مرتكبـا شروره وآثامـه ! انها مجرد فكرة لا تجـدين في نفسك الجرأة على تصورهـا •

ــ لكن ، انني لا أريد أن أتدخل في أسرار القدرة الالهية • مـا فائدة سؤالي عن أشياء ممنوع التساؤل عنها ؟ ما فائدة هـذه الاسئلة التي لا طائل تحتها ؟ كيف يمكن أن أفكر بأن أمرا كهذا كـان يتوقف

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

على مشيئتي ؟ من ذا الذي خولني حق الحكم في مـن يجب أن يعيش ومن يجب أن يموت ؟

غمغم راسكولنيكوف بلهجة شرسه :

ـ طالما أن القدرة الالهيه تتدخل في هذه الأمور فلم يعد هناك مـا يعمل .

هتفت سونيا بانزعاج :

ـ من الخير أن تقول لي بصراحة ما تريد أن تقوله . ها انـك مرة أخرى تبيت أمرا ... أيجوز أن تكون قد جئت لتعذبني فقط ؟

لم تتمالـك نفسها فراحت فجـأة تبكي بمراره ، فنظر اليهـا راسكولنيكوف نظرة كئيبة حزينة ، وانقضت خمس دقائق .

قال بلهجة عذبة :

ـ هيا يا سونيا . انك على حق .

بدا فجأة متغيرا كل التغير فقد اختفت اللهجة الوقحة المتحديـة التي كان يتصنعها وأصبح صوته خافتا :

ـ لقد قلت لك البارحة أنني لن أحضر لأطلب صفحك . وها انني قد بدأت بالاعتذارات تقريبا ... انه بصدد لوجين والقدرة ... اذا كنت أعتذر ، يا سونيا .

أراد أن يضحك . لكن أمارات الضعف والتعب بدت واضحة عـلى ابتسامته الشاحبة ، فأطرق برأسه وغطى وجهه بيديه . شعر فجـأة شعورا غريبا غير منتظر ، شعورا بالحقد على سونيا يدمي قلبه ، فدهش وذعر من ذلك الاكتشاف . ورفع رأسه بعنف وحدج سونيا بعينيـه . غير أنه لم يلمس في نظرة الفتاة القلقة الكئيبة المعذبة الا لونا من الحب . فتبخر الحقد من قلبه كالحلم . ان الامر ليس كذلك ! لقد فهم شعوره فهما خاطئا . ان كل ذلك يعني أن « الوقت » قد أزف .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ومن جديد راح يطرق برأسه ويخفي وجهه بيديه ، وفجأة شحب لونه فنهض من مكانه ونظر الى سونيا ثم جلس على السرير دون أن ينطق بكلمة واحدة .

كانت تلك الدقيقة ــ وقد شعر بذلك ــ مشابهة تماما لتلك التي قضاها واقفا وراء العجوز بعد أن خلص فأسه من العقدة السالة وهو يشعر بأنه « ليس لديه لحظة واحدة يضيعها » .

سألته سونيا ، وهي شديدة الذعر :

ــ ما بك ؟

لم يستطع الجواب . لم يكن ينتظر « أن يفسر » الامر على هذا الشكل . كان لا يدري في تلك اللحظة ماذا يجري في أعماق نفسه .

اقتربت سونيا من راسكولنيكوف بلطف وجلست على حافة السرير بجانبه وراحت تنظر اليه صامتة وقد تضاعف وجيب قلبها حتى كاد أن ينفجر . أصبح الموقف لا يحتمل فأدار وجهه الشاحب شحوب الاموات نحوها وراحت شفتاه تتقلصان بتأثير المجهود الذي كان يبذله عبثا للتلفظ بأية كلمة ، فسمر الذعر قلب سونيا .

كررت وهي تبتعد عنه قليلا :

ــ ما بك ؟

تمتم قائلا كمن لا يعرف عن نفسه أنه يهذي :

ــ لا شيء ، يا سونيا . لا تفزعي ... حماقات في حقيقتها اذا فكر المرء فيها . لكن لِمَ جئت أعذبك أنت ؟ صحيح لماذا ؟ انني لا أني أطرح على نفسي هذا السؤال ، يا سونيا .

لعله طرح على نفسه ذاك السؤال منذ ربع ساعة تقريبا . أما الآن فقد كان يتكلم وهو في حالة ضعف كامل لا يكاد يحس بحركاته وتصرفاته . كان كل جسمه ينتفض مرتعدا باستمرار .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

قالت بحنان ، وهي ترفع عينيها اليه :

ـ أوه ! كم تتألم !

ـ سخافات !... هيا يا سونيا (وارتسم على شفتيه طيف ابتسامة لم يلبث الا ثانيتين) هل تذكرين ما كنت أريد أن أقوله لك أمس ؟

لبثت سونيا تنتظر فريسة القلق :

ـ لقد قلت لك وأنا خارج أنني قد أكون أودعك للمرة الاخيرة . لكنني اذا عدت اليوم فسأقول لك ... من الذي قتل اليزابيت ؟

راحت سونيا ترتعد بعنف فجأة .

ـ حسنا . ها قد جئت لأقوله لك .

تمتمت سونيا بمجهود كبير :

ـ نعم لقد قلت لي البارحة حقيقة ... لكن كيف تعرفه ؟

بدت سونيا اثر هذا السؤال وكأنها استعادت حواسها . كانت تتنفس بصعوبة ووجهها يزداد شحوبا .

ـ انني أعرفه .

فصمتت دقيقة كاملة ثم سألت بخجل :

ـ هل وجدوه ؟

ـ كلا لم يجدوه بعد ...

سألت بصوت مخنوق بعد دقيقة صمت أخرى :

ـ اذن كيف تعرف ذلك ؟

فاستدار اليها وحدق في عينيها وقال ـ وشبح تلك الابتسامة على شفتيه :

ـ احزري ...

انتفضت سونيا وكأن تشنجات عصبية انتابتها ودمدمت ، وهي تبتسم كالطفل الغرير :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لكن أنت ... تـ ... لماذا هكذا تخيفني ؟

تابع راسكولنيكوف دون أن ينقطع عن النظر الى وجهها وكأنه لا يملك القوة على تحويل عينيه :

ـ ذلك لأنني شديد الاتصال به ... لذلك أعرف ... انه لم يكن يريد قتل اليزابيت ... لقد قتلها دون سابق تصميم ... كان يريد أن يقتل العجوز ... عندما كانت وحدها ... وذهب اليها ... وعندئذ دخلت اليزابيت . كان هناك ... فقتلها .

لبثا يتبادلان النظر وانقضت دقيقة أخرى حافلة بالرعب .

سألها فجأة وهو يرى نفسه كمن يوشك على القاء نفسه من أعلى قبة جرس :

ـ ألا تستطيعين التخمين بعد ذلك ؟

غمغمت سونيا بصوت لا يكاد يسمع :

ـ كلا .

ـ ابحثي جيدا ، فكري .

لما نفوه بهذه الكلمة ، شعر من جديد بذلك الشعور البارد المتجمد الذي عرفه من قبل ، يجتاح جسمه فجأة وينغلغل في أعماق أعماقه . نظر الى سونيا وفجأة بدا له وجهها شبيها بوجه اليزابيت . تذكر على الفور الامارات التي ارتسمت على وجه اليزابيت في تلك اللحظة التي اقترب منها رافعا فأسه ، وهي تتراجع أمامه نحو الجدار رافعة يديها أمامها كالاطفال الصغار تماما عندما يخافون فينظرون الى الشيء الذي أرعبهم نظرة ثابتة وجلة وهم على أهبة الانخراط في البكاء. كذلك كان حال سونيا في تلك اللحظة : كانت تنظر اليه في تلك البرهة بذلك الذعر وذلك الارتياع والتشوش.وفجأة رفعت يسراها ولمست صدره بأطراف أناملها ونهضت ببطء وهي تبتعد عنه رويدا دون أن تنقطع عن النظر

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الى وجهه بشدة وقوة • تجاوب الذعر الذي في نفسها مع الاحساس الذي في روحه ، فارتسمت على وجه راسكولنيكوف امارات الخوف والرهبة ونهض بنفس الوقت وهو يحدجها بنظرته ويبسم تلك الابتسامة ــ ابتسامة الاطفال •

تمتم أخيرا :

ــ لقد حزرتِ •

هتفت سونيا ، وهي تطلق زفرة محزونة :

ــ رباه !

وسقطت على السرير خائرة القوى وأخفت وجهها في الوسادة • لكنها لم تلبث أن نهضت بنشاط واقتربت منه على الفور فأخذت يديه بين يديها وراحت تضغط عليهما بعنف وعادت تنظر في عينيه وكأنها لا تستطيع الانفصال عنه • كانت تبحث بتلك النظرة اليائسة الأخيرة عن أمل ، أي أمل • لكن انتظارها كان عبثا • لم يبقَ أي شك • نعم ! ان الأمور كانت « كذلك » !

تساءلت بذهول ــ حينما استعادت في ذهنها تلك اللحظة فيما بعد ــ كيف استطاعت التأكد من أنه فعل ذلك دون شك ؟ انها لم تكن تستطيع القول انها شعرت بهذه الخاتمة شعورا مسبقا • مع ذلك فانه لم يكد يتكلم اليها ويلفظ تلك الاقوال حتى خيل اليها بأنها كانت تتوقع « ذلك الامر بالذات » •

ابتهل اليها بألم :

ــ كفى يا سونيا ، كفى ! لا تعذبيني •

لم يكن يفكر أبدا في أن يعترف لها على ذلك « الشكل » • كلا ! ولكن الامر وقع على ذلك « الشكل » دون أن تكون له يد فيه •

بدت سونيا كأنها فقدت اتزانها اذ قفزت حتى منتصف الغرفة وهي تلوي يديها • لكنها عادت مسرعة الى جانبه فجلست وكادت أن تلمس

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كتفه بكتفها • وفجأة راحت ترتعد وكأن سهما اخترق قلبها • أطلقت صرخة ثم جثت على ركبتيها أمام راسكولنيكوف دون أن تعرف السبب:

ـ مادا عملت ؟ ماذا عملت ضد نفسك ؟

تراجع راسكولنيكوف قليلا ونظر اليها ، وهو يبتسم بحزن :

ـ كم أنت شاذة ، يا سونيا ! أتعانقينني بعد أن قلت لك ذلك ؟ انك لا تعي ما تفعلين •

هتفت مندفعة دون أن تسمع الملاحظة التي أبداها :

ـ كلا ، كلا ! ليس هناك انسان في العالم أتعس منك !

وانخرطت فجأة في نوبة من البكاء •

شعر راسكولنيكوف باحساس كان مجهولا منه منذ أمد طويل ، شعر به يكتسح قلبه فلم يحاول الاعتراض أو المقاومة • وانبعثت دمعتان من عينيه تعلقتا بأهدابهما ، ونظر اليها نظرة تشع بالأمل ، وقال :

ـ على ذلك يا سونيا ، فانك لن تهجريني •

صرخت :

ـ كلا ، كلا أبدا ، اطلاقا سأتبعك أينما تكون ! سأتبعك في كل مكان ! أوه ! رباه ! أوه ! كم أنا حقيرة ! ولكن لِمَ ، لم لم أعرفك من قبل ؟ لِمَ لم تأتِ اليّ قبل الآن ؟ أوه ! يا رب !

ـ ها أنت ترين : لقد جئت !

كررت حائرة ، وهي تعانقه من جديد :

ـ الآن ! أوه ، ما العمل الآن ! معا ، معا ، سأذهب معك الى « الليمان » !

اخترقت هذه الكلمات صدره كنصل حاد وعادت الى شفتيه الابتسامة الحقود المتعالية التي ارتسمت عليهما منذ حين :

ـ لعلني يا سونيا لا أرغب حتى الآن في الذهاب الى « الليمان » •

نظرت اليه سونيا بحدة •

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

شعرت عقب عاطفة الاشفاق العنيف المتألم نحو التعس بفكرة المجرم الشرسة تعاود ايلامها . أحست بأنها تسمع القاتل يتحدث بتلك الكلمات التي فاه بها أخيرا بلهجته المبتذلة ، فنظرت اليه بذهول كانت لا تعرف حتى تلك اللحظة لماذا وكيف وقع كل هذا . استيقظ عدد كبير من الأسئلة في نفسها وراحت من جديد تشك في صحة ما سمعته: «هو، هو، قاتل ! أيعقل ذلك ؟ »

قالت في دهشة عميقة وكأنها لم تستعد احساسها بعد :

ـ لكن ماذا هناك ؟ أين أنا ؟ كيف أنت ، أنت ، باعتبارك من أنت ... وافقت على مثل هذا ؟ لكن ... لماذا ؟..

قال بلهجة متعبة بل وبشيء من الامتعاض :

ـ من أجل السرقة ! كفي ، يا سونيا !

ذهلت سونيا لهذا القول وفجأة هتفت :

ـ أكنت جائعا ؟ أكان ... لمساعدة أمك ؟ نعم ؟

تمتم وهو يتحول عنها ويطرق برأسه :

ـ كلا يا سونيا كلا ! لم أكن جائعا الى هذا الحد . في الحقيقة انني كنت أريد مساعدة أمي لكن هذا السبب لم يكن حقيقيا تماما ... لا تعذبيني ، يا سونيا .

ضربت سونيا كفا بكف :

ـ هل يعقل ؟ هل يعقل أن يكون هذا قد وقع بالفعل ! رباه، أين هي الحقيقة اذن ؟ من كان يصدق كل هذا ؟ ثم كيف يحدث أن تكون، أنت الذي تعطي آخر نقودك للناس ، تقتل من أجل السرقة .

وفجأة صرخت :

ـ آه ! ذلك المال الذي أعطيته الى كاترين ايفانوفنا ؟؟.. ذلك المال ... رباه ، هل يعقل أن يكون ذلك المال أيضا ...

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فقاطعها بعنف :

ـ كلا ، يا سونيا ! ان ذلك المال لم يأتِ من ذلك المصدر فاطمئني. ان ذلك المال أرسل الي من قبل أمي بواسطة أحد النجار وقد تلقيته أثناء مرضي في اليوم الذي أعطيته ... لقد رآه رازوميخين ... وهو الذي قبضه باسمي ... ان هذا المال هو ملكي حقيقة .

كانت سونيا تصغي اليه وهي لا تعرف مادا تصدق وتجهد في لم شتات أفكارها .

أضاف قائلا بهدوء وبلهجة حالمة :

ـ أما المال « الآخر » ... على كل حال لست أدري اذا كان هناك مال بالفعل . لقد رفعت عن جثة العجوز حافظة نقود من جلد الماعز ... حافظة مملوءة بل ومحشوة حشوا ... لكنني لم أنظر الى ما فيها ... لم يكن لدي الوقت لذلك ... ثم انني وجدت هناك بعض الأشياء، أزرار الأكمام وسلاسل فأخذتها كلها مع الحافظة ومضيت أخفيها في باحة منزل في شارع « ف ... » ولا زالت هناك حتى الآن .

كانت سونيا تنظر اليه بلهفة ، فسألت وكأنها تحاول التعلق بالقشة الواهية شأن الغريق :

ـ لكن . كيف ذلك ... ألم تقل انك ... « لسرق » ، ومع ذلك لم تأخذ شيئا !

فأجابها شارد البال :

ـ لست أدري ! لم أقرر بعد اذا كنت سآخذ ذلك المال أم لا .

وفجأة عاد اليه شعوره فقال :

ـ يا للحماقة التي تلفظت بها ! أليس كذلك ؟

ومضت في خاطر سونيا فكرة سريعة : « ألا يمكن أن يكون مجنونا ؟ » لكنها أبعدت تلك الفكرة فورا : « كلا هناك شيء آخر ». بيد أنها لم تكن تفقه شيئا .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

قال فجأة في شيء من الايحاء :

ـ أتعرفين يا سونيا ، أتعرفين ماذا سأقول لك : انني لو قتلت مدفوعا بالجوع لكنت الآن ... سعيدا ! تأكدي من ذلك .

كان يضغط على كلمة من هذه الكلمات وهو ينظر اليها نظرة غامضة .

هتف بعد لحظة :

ـ ولكن ماذا يهمك ! ماذا يهمك أن أكون قد اعترفت بخطئي ؟ ما فائدة هذا النصر السخيف على نفسي ؟ آه يا سونيا ! أمن أجل هذا جئت اليك الآن ؟

ومن جديد أرادت سونيا أن تقول شيئا لكنها لزمت الصمت .

ـ اذا كنت دعوتك أمس فذلك لأنك الوحيدة التي بقيت لي .

سألت سونيا بوجل :

ـ دعوتني الى أين ؟

فأجابها بضحكة غاضبة :

ـ ليس لتسرقي وتقتلي . اطمئني ، ليس من أجل ذلك . نحن مخلوقان مختلفان ... هل تعرفين ، يا سونيا ؟ انني عرفت فقط الى أين دعوتك بالأمس . لم أكن أعرف ذلك البارحة . لقد دعوتك لسبب واحد ، وقد جئت من أجل سبب واحد . أن لا تهجريني . هل ستهجرينني ، يا سونيا ؟

ضغطت سونيا على يده بينما هتف ببأس فجأة ، وهو يتأملها بألم عميق :

ـ ولِمَ ، لم اعترفت لها ؟ ها انك يا سونيا تسمعين اعترافات مني وأراك تنتظرين المبررات . انني أرى ذلك . ماذا سأقول لك ؟ انك لن تفهمي منها شيئا ولن يزيدك هذا الا ألما .. بسببي ! ها انك تبكين

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أيضا وتعانقيني • لِمَ تعانقينني ؟ ألأنني استطعت احتمال كل هذا ؟! ألأنني جئت أفثأ همومي بحضرة شخص آخر وأنا أقول : « تألم أنت الاخر ، لسوف يرفه عني ذلك ! » هل يمكن أن تحبي نذلا لهذا ؟

هتفت سونيا :

ــ لكن أو لا تتألم أنت الآخر ؟

ومن جديد عادت تلك العاطفة تجلد قلبه ، ومن جديد هدأ بعض الوقت :

ــ سونيا ، انني سيىء القلب فانتبهي لذلك • ان هذه الكلمة تستطيع أن تفسر أشياء كثيرة • لقد جئتك لأنني خبيث • ان آخرين ما كانوا ليأتوا • أما أنا ، فأنا جبان و ••• نذل ! على كل حال ••• لا أهمية لهذا ! ان الأمر لا يتعلق بهذا • انني يجب أن أتكلم ولست أدري أين أبدأ •

وجلس ثم راح في بحران عميق •

هتف فجأة :

ــ اه ! نحن مخلوقان مختلفان يستحيل تفاهمنا • فلماذا جئت؟ لن أغفر لنفسي أبدا •

قالت سونيا :

ــ كلا لقد أحسنت صنعا بالمجيء ! من الخير أن أعلم ! من الخير كثيرا !

فنظر اليها بألم وقال : وكأنه يتابع فكرة ما :

ــ ان الامور قد وقعت تماما على هذا النحو : كنت أريد أن أصبح نابليونا • ولهذا السبب قتلت • والآن هل فهمت ؟

غمغمت سونيا بسذاجة بصوت خجول :

ــ كلا ••• لكن ••• تحدث ، تحدث ! لسوف أفهم ، لسوف

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أفهم .

ـ لسوف تفهمين ؟ حسنا سوف نرى .

صمتت فجأة ، وراح في تفكير عميق :

ـ ان كل القضية محصورة في أنني ألقيت على نفسي مرة السؤال التالي : « ماذا كان يحدث ـ مثلا ـ لو أن نابليون كان في مثل مركزي ولم يكن لديه ، في بدء حياته لا في طولون ولا في مصر ولا في ممر الجبل الابيض « مون ـ بلان » بدلا من كل هذه الأشياء الجبارة الكبيرة ، الا عجوز خبيثة غريبة مرابية كان يجب عليه قتلها ليسلبها مالها المخبأ في صندوقها وذلك خدمة لمركزه ومستقبله، هل تسمعين ؟.. حسنا . هل كان يقرر ذلك اذا لم يكن لديه أي وسيلة أخرى ؟ ألم يكن يشعر بلون من الخجل العميق لمجرد أن أمرا كهذا تنقصه العظمة ... وأنه شديد الاجرام ؟ لعمري ان هذا « السؤال » ما انفك ينكد حياتي زمنا طويلا لدرجة أنني شعرت بخجل قاتل عندما استنتجت فجأة أنه ما كان ليخجل مطلقا ، بل وان فكرة افتقار هذا العمل الى العظمة ما كان ليخطر له على بال . بل وما كان ليفهم أي خجل يسببه ذلك ؛ وأنه اذا لم تكن هناك وسيلة أخرى فانه كان سيقتل دون أن يفكر لحظه أو أن يتردد . وعلى ذلك فانني أنا الآخر خرجت بهذا الرأي :

« ... لقد قتلت ... تشبها بالسلطات ... وقد حدث ذلك تماما كما قلت ! أيبدو ذلك غريبا ؟ نعم يا سونيا . ان الأغرب من ذلك أن يكون قد وقع تماما على هذا الشكل » .

لم تكن سونيا ترغب في الضحك ، فقالت بصوت أشد ذعرا لا يكاد يميز :

ـ قل لي ... دون أمثلة .

فاستدار نحوها وتأملها طويلا وأخذ يديها بين يديه :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ انك على حق ، يا سونيا . ان كل ذلك شاذ وغريب ، انه ليس الا ثرثرة ! اعلمي أن أمي ـ كما عرفتِ ـ لا تمتلك شيئا تقريبا . وأن أختي التي تلقت بعض الثقافة على سبيل الصدفة محكوم عليها أن تتنقل من مكان الى آخر لتشغل وظيفة مربية . كانت كل آمالها معلقة بي وحدي . وقد بدأت دراساتي في الجامعة ثم اضطررت الى الانقطاع عنها بعد أن فقدت الأسباب المعاشية . حتى اذا افترضنا أنني أتممت دراساتي فانني كنت بعد عشرة أو اثني عشر عاما ـ هذا اذا خدمني الحظ ـ آمل أن أصبح أستاذا أو موظفا ما لقاء راتب سنوي قدره ألف روبل .

كان يبدو على راسكولنيكوف أنه يتلو درسا حفظه . أسترسل :

ـ وبانتظار هذا الوقت كانت أمي ستفنى في الأحزان والهموم . وما كنت لأستطيع أن أطمئنها . أما أختي ... فانها ... كانت معرضة لشر من هذا ! فلمَ اذن أسيء الى حياتي وأحرم نفسي من كل شيء فأهجر أمي ولا أشعر بجرح في كرامتي لما قد يصيب أختي من امتهان ؟ ما فائدة كل ذلك ؟ ألكي أستطيع ـ بعد أن أدفنهما ـ أن أنشيء لنفسي بيتا مع زوجة وأطفال أتركهم بدورهم عندما أموت دون فرش واحد أو قطعة من الخبز ؟ اذن ... اذن ... فقد قررت في نفسي أن أكرس أموال العجوز ـ عندما أحصل على أموالها ـ لدراساتي ثم لأستعين بها في تسديد خطواتي الأولى بعد خروجي من الجامعة ... كنت أتوقع أن أعرف بشكل شامل عام حتى أستطيع بلوغ مركز جديد أنعم فيه بكل الاستقلال . نعم هذا هو كل شيء ... ولا شك أنني أسأت حساباتي بشأن العجوز .. والآن كفى !

أنهى قصته باعياء وجهد عنيفين . بدا منهوك القوى فأطرق برأسه .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

هتفت سونيا بمرارة :

ـ أوه . انه ليس كذلك ! هل هذا معقول ؟ كلا ! انه ليس كذلك !

ـ انك تقولين بنفسك انه ليس كذلك ! مع ذلك فقد قصصت عليك باخلاص كل الحقيقة .

ـ ويا لها من حقيقة ! أوه ، رباه !

ـ مع ذلك انني لم أقتل يا سونيا الا حشرة ، حشرة قذرة ضارة وعديمة الفائدة .

ـ ان تلك الحشرة كانت مخلوقا بشريا .

أجابها ، وهو ينظر اليها نظرة غريبة :

ـ وأنا أعرف تماما أنها لم تكن حشرة حقيقية .

وأضاف :

ـ غير أنني أكذب ، يا سونيا . انني أكذب منذ زمن طويل ... أن الأمر ليس كذلك . انك على صواب . لقد وقع الأمر لأسباب أخرى مختلفة كل الاختلاف ... منذ زمن طويل انقطعت عن التحدث الى الناس . سونيا ... ان رأسي يؤلمني جدا في هذه اللحظة .

كانت عيناه تلتهبان ببريق محموم ، وكان الهذيان قد بدأ يكتسح عقله ، بينما راحت ابتسامة قلقة تحوم على شفتيه . كان انفعاله طافحا باعياء فظيع ، وكانت سونيا تدرك تماما مدى تألمه فشعرت هي الاخرى بدوار في رأسها . انه كان يتحدث بأسلوب شديد الغرابة : كان يستطيع المرء أن يميز شيئا في ذلك ، ولكن « ما هو ذلك الشيء ، ما هو ذلك الشيء ؟ رباه ! » وراحت تلوي يديها من اليأس .

رفع رأسه فجأة واسترسل وكأن أفكاره قد اتخذت شكلا آخر بدا لعينيه في تلك اللحظة :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ كلا ، يا سونيا ! ان الأمر ليس كذلك . ليس كذلك . أو بالاحرى ... تصوري ـ نعم من الافضل أن تتصوري ذلك ـ بأنني سريع الغضب حسود خبيث منحط ميال الى الانتقام و ... لنقل : مخبول بعض الشيء ـ وقد لاحظت ذلك . لقد قلت لك منذ حين أنني لم أكن أمتلك الوسائل التي تتيح لي البقاء في الجامعة . لكن أتعرفين أنني كان يمكن لي أن أتابع دراساتي ؟ كانت أمي سترسل الي ما يلزم من أجل ذلك ، وكنت أستطيع بعملي الشخصي أن أوفر لنفسي بعض الثياب والألبسة والطعام تقريبا : ان اعطاء الدروس كان يدر علي خمسين كوبيكا لكل درس . ان رازوميخين يشتغل كما يجب ، أما أنا فقد ركبت رأسي . هذه الكلمة الفنية . لقد انطويت في زاويتي كالعنكبوت . لقد جئت بنفسك الى زنزانتي وشاهدتها . أتعرفين يا سونيا أن السقوف المنخفضة والجدران الضيقة تضغط بشدة على العقل والقلب ؟ أوه ، لقد اختبرت طويلا تلك الزنزانة ! مع ذلك فانني ما كنت أريد الخروج منها ! لقد لبثت فيها عامدا . لقد قضيت هناك أياما كاملة عازفا عن العمل أرفض حتى تناول الطعام ، مستلقيا أبدا على جنبي . فاذا أتتني ناستاسيا بشيء أكلته وان لم تأتني لبثت صائما يؤلمني أن أطلب اليها شيئا ! وفي الليل ـ ولأنني لم أكن أملك ضوءا ـ كنت أبقى في الظلام الدامس بدلا من أن أعمل لأشتري لنفسي مصباحا . وبدلا من أن أدرس بعت كتبي . كان على المنضدة وفوق دفاتري طبقة من الغبار تبلغ كثافتها أصبعا . ولا زالت دفاتري في المكان ذاته ! كنت أفضل أن ألبث مستلقيا أحلم وأتخيل . ما كنت أحسن شيئا الا التخيل، ولا حاجة الى القول ان تلك الاحلام كانت غريبة متبدلة ومتحولة. وفي أثناء ذلك التخيل جال في خاطري أن ... كلا ، ليس هذا أيضا ! انني لا أسرد الأشياء كما وقعت ! كنت أتساءل طيلة الوقت : « لم أنا مغفل لدرجة أنني أعرف أن الآخرين مغفلون مثلي ، مع ذلك فلا أجهد نفسي

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لأصبح أكثر ذكاء منهم ؟ » وعندئذ استنتجت يا سونيا أنه اذا كان المرء ينتظر اللحظة التي يصبح فيها العالم كله من الاذكياء ، فان عليه أن ينتظر طويلا . وقد تأكد لي فيما بعد أن ذلك لا يمكن حدوثه أبدا ، وأن الرجال لا يتبدلون وأنه ليس لأحد أن يحولهم وأن ذلك لا يستأهل اضاعة الوقت . نعم انه كذلك ! انه بالنسبة اليهم قانون ... ، قانون يا سونيا . انه لكذلك !.. وانني أعرف الان يا سونيا أن ذلك الذي يكون قويا في ذكائه وروحه ، أن هذا يكون سيدهم ، أنه يعمل كل شيء فيعذرونه . انه ذلك الذي يسخر بكل شيء ويفرض نفسه كمشروع . بل ان الأكثر حذقا ودراية هو الذي تكون له الكلمة الأخيرة ! لقد كانت الدنيا أبدا كذلك وستبقى أبدا كذلك . ليس الا العميان الذين لا يرون هذا !

رغم أن راسكولنيكوف كان يتكلم وهو ينظر الى سونيا الا أنه كف أخيرا عن الاهتمام بتفهمها الأمر . كانت الحمى قد عادت اليه من جديد وعلى أشد ما تكون . لقد كان في لون من الانطلاق القاتم وهو الذي لم يتحدث مع أحد منذ زمن طويل ! فأدركت سونيا أن هذا المذهب الوحشي كان عنده في مرتبة الايمان العمق .

أردف بلهجة جليلة :

ـ وعندئذ ارتأيت يا سونيا ان السلطة لا تعطى الا للذي يجرؤ على الانحناء لأخذها . يكفي أن يجرؤ المرء ! والامر كله هنا . عندئذ خطرت لي فكرة لأول مرة في حياتي ، فكرة لعل أحدا من قبل لم يعنَ بها . أي أحد ! لقد فهمت فجأة ، وبوضوح كالنهار ، ان أحدا لم يجرؤ بعد على الانحناء . لقد اعتقد الناس أنه من الشذوذ والغرابة أن يؤخذ الوحش ببساطة من ذنبه وأن يطوح به الى الشيطان ! أما أنا ... أنا ... فقد أردت أن أجرب القيام بعمل جريء ... وقتلت ... لم أكن

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أريد الا « اجراء محاولة » فحسب • هذا كل شيء ، يا سونيا •

صرخت سونيا ، وهي تضرب كفيها ببعضهما :

ـ أوه ، اصمت ، اصمت ، لقد ابتعدت عن الله فضربك الله ، لقد أسلمك الى الشيطان !...

ـ على فكرة يا سونيا ، انني حينما كنت أستلقي في ظلام حجرتي قاطعا الوقت في الاحلام وتخيل الأشياء ، كان الشيطان هو الذي يغريني • أليس كذلك ؟

ـ اصمت ! لا تضحك أيها الشيطان ، انك لا تفهم شيئا من شيء•

ـ اصمتي يا سونيا ، انني لا أضحك • انني أعرف تماما ان الشيطان هو الذي أغراني •

وكرر بلجاجة كئيبة :

ـ اصمتي يا سونيا ! لقد فكرت من قبل في هذا بل وكنت قد همست به لنفسي عندما كنت في الظلمات مستلقيا ... لقد تناظرت مع نفسي حول هذا الموضوع ، وانني أعرفه كل المعرفة لكثرة ما محصته ! ويا للسآمة التي كانت تحدثها تلك الثرثرة في نفسي ، كنت أريد نسيان كل شيء وبدء حياة جديدة أخرى • والتخلص من تلك الثرثرة • هل تصدقين يا سونيا أنني كنت أمشي هكذا كالأبله منحني الرأس ؟ لقد تصرفت تصرف الرجل المبرهن كثير الحجج وهذا الذي قضى علي • هل تظنين أنني كنت أجهل مثلا أنني اذا سألت نفسي: «هل لي الحق في السلطة أم لا » ، لكان الجواب أنه ليس لي الحق ؟ أو أيضا لو طرحت على نفسي هذا السؤال: « هل الكائن البشري هوام؟ » لكان معنى ذلك أن ذلك الكائن قد أصبح بالنسبة الي مجردا من كيانه وأنه ليس هواما الا في عيني ذلك الذي لم يفكر قط بل مضى الى هدفه دون أن يلقي على نفسه أسئلة • انني خلال تلك الايام الطويلة ،

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

عندما كان السؤال التالي يقض مضجعي : « هل كان نابليون يذهب ليقتل أم لا ؟ » كنت أشعر بصراحة ، صدقيني ، أنني لم أكن نابليونا ، ذلك هو العذاب الذي عانيته يا سونيا والذي أردت أن أنبذه دفعة واحدة . لقد أردت يا سونيا أن أقتل دون الرجوع الى الضمير . أردت أن أقتل من أجل نفسي فقط ! لم أشأ أن أكذب حول هذا الموضوع حتى ولا على نفسي . انه لم يكن لمساعدة أمي ، كلا ! ولم يكن كذلك لأفرض من نفسي محسنا الى الانسانية بعد أن أحصل على الوسائل ، كلا ، لقد قتلت بكل بساطة . قتلت من أجل نفسي فقط ، من أجلي فقط ، لم أكن أتساءل في تلك اللحظة عما اذا كنت سأصبح محسنا ما ، أم كنت سأمضي حياتي كالعنكبوت يوقع في نسيجه من الضحايا ليتقيد ويلتهم قواهم الحيوية . خصوصا وأن المال لم يكن الحاجة الحساسة التي قتلت من أجلها . لقد كانت حاجتي الى المال أقل من حاجتي الى أشياء أخرى . انني أعرف ذلك الان ... افهميني اذ لو كان الامر واجب الاعادة لما أعدته . كان ينبغي لي شيء آخر وذلك الشيء الآخر هو الذي دفع ذراعي : كنت أريد أن أعرفه معرفة سريعة عاجلة اذا كنت حشرة حقيرة كالآخرين أم رجلا . هل أستطيع تخطي العقبة أم لا أستطيع ؟ ذلك ما كنت أسأل نفسي عنه . هل أستطيع الانحناء للأخذ أم لا أستطيع ؟ هل أنا مخلوق رعديد أم « أن لي الحق ؟... »

قالت سونيا ، وهي تضم يديها :

ـ أن تقتل ؟ أن يكون لك الحق في القتل ؟

هتف غاضبا :

ـ ايه ، يا سونيا .

كان يريد أن يجيب غير أنه صمت صمتا محتقرا ، وأردف :

ـ لا تحتقريني يا سونيا ، لقد أردت فقط أن أثبت شيئا : أن

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الشيطان قد جرني أولا ثم عاد وأفهمني أنه لم يكن لي الحق بالذهاب وأنني لست الا حشرة كالآخرين . لقد سخر الشيطان مني وهـذا هو السبب الذي جئت من أجله اليك . يا للزيارة الجميلة ! هل كنت أحضر اليك لو لم أكن حشرة حقيرة ؟ اسمعي . عندما ذهبت من قبل الى مسكن العجوز ما كنت أريد الا أن « أجرب محاولة » .. اعلمي ذلك .

ـ ولقد قتلت ... ولقد قتلت .

ـ لكن . كيف قتلت ؟ وهل يقتل المرء هكذا ؟ هل تصرفت على هذا النحو ؟ لسوف أقص عليك يوما كيف وقع ذلك ... أهي العجوز الصغيرة القذرة التي قتلت ... انني قتلت نفسي وليس العجوز ، لقد أفنيت نفسي هكذا الى الابد ، أما العجوز فان الشيطـان هو الذي قتلها وليس أنا . كفى يا سونيا كفى ، كفى ، دعيني ، دعيني .

كان يصرخ فريسة لحزن وتشنج، فركز مرفقيه على ركبتيه وضغط على رأسه ببديه بشدة وعنف .

زمجرت سونيا :

ـ يا للألم البليغ !

سألها فجأة وهو ينظر الى وجهها ، وقد قلب اليأس سحنتـه فشوهها :

ـ اذن ما العمل الآن ؟ تكلمي .

هتفت وهي تبارح مكانها وقد التمعت عيناها اللتان كانتا ممتلئتين حتى تلك اللحظة بالدموع :

ـ ما العمل ! انهض .

وقبضت على كتفه فتناهض ونظر اليها بذهول .

وأردفت :

ـ اذهب فورا في هذه اللحظة بالذات وقف على مفترق الطـرق

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فانحي ثم قبل أولا الارض التي دنستها وبعدئذ اركع بخشوع على الجهات الاربع وقل بصوت مرتفع أمام كل الناس : « لقد قتلت ! » وعندئذ سيعيد لك الله الحياة .

ثم سألته وهي ترتعد وكأنها فريسة نوبة ما ، وقد قبضت على يديه الاثنتين وضغطت عليهما بين يديها وشملته بنظرة ملتهبة :

ـ هل تذهب ؟ هل تذهب ؟

بدا راسكولنيكوف ذاهلا بل ومروعا بعض الشيء من ذلك الحماس المفاجيء . سألها بلهجة كئيبة :

ـ انك تريدين اذن أن أذهب الى « الليمان » ، يا سونيا ؟ ينبغي أن أشي بنفسي اذن . أليس كذلك ؟

ـ ان ما ينبغي هو تقبل الألم وبواسطته استرداد للروح .

ـ كلا لن أذهب الى البوليس ، يا سونيا .

هتفت مستغربة :

ـ لكن لتحيا ، كيف العمل لتعيش ؟ كيف ستعيش ؟ هل ذلك ممكن الآن ؟ وكيف نجرؤ على مخاطبة أمك ؟ وماذا سيحدث لهما كلتيهما الان ؟ لكن ماذا تقول ؟ لقد هجرت أمك وأختك ، لقد تركتهما أوه ! رباه ! ان كل ذلك يفهمه بنفسه . كيف يعيش المرء خارج كل وجود بشري ؟ ماذا سيحدث لك الآن !

قال بلهجة وديعة :

ـ كفاك أقوالا صبيانية ، يا سونيا ! ما هي تهمتي أمامهم ؟ لماذا أشي بنفسي اليهم ؟ ماذا سأقول لهم ؟ ان ذلك ليس الا أوهاما وسرابا ... انهم بأنفسهم يذبحون الملايين من الرجال ويكيلون لأنفسهم المزايا والثناء . انهم سيفاكون أنذال . تلك هي حقيقتهم . لن أذهب، يا سونيا . ثم ماذا أقول لهم ؟ أأقول أني قتلت ولكني ما جرؤت على أخذ المال الذي أخفيته تحت حجر ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ثم أضاف بضحكة ساخرة :

ـ لسوف يسخرون مني وسيقولون بأنني سخيف لأني لم أفد من ذلك المال ، سخيف وجبان .. لن يفهموا شيئا ، يا سونيا . انهم غير جديرين بفهم مثل هذا التصرف . لماذا أسلم نفسي ؟ كوني عاقلة ، يا سونيا ...

كررت متوسلة ، وقد مدت يديها نحوه بضراعة :

ـ ستكون حياتك عذابا مقيما طويلا . عذابا طويلا .

فقال بكآبة وكأنه يحلم في شيء ما :

ـ لعلني أهنت نفسي . لعلني بعد كل هذا لا زلت رجلا وليس هوامًا كما أسميت نفسي منسرعا . لسوف أقاوم .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة متعالية .

ـ أتحمل عبئا كهذا ! وطيلة العمر ، طيلة العمر !

أجاب ساهما ضجرا :

ـ لسوف أعتاد على حمله ...

واستطرد بعد برهة :

ـ اسمعي . كفى نواحا ! لنعد الآن الى الواقع : لقد أردت أن أقول لك انهم يهاجمونني الآن ولسوف يوقفونني .

قالت سونيا مذعورة :

ـ آه !

ـ ماذا بك ؟ لمَ تصرخين ؟ انك أنت التي تريدين أن أذهب الى « الليمان » وها أنت الآن تروعين ! لكنهم لن ينالوني . لسوف أكافحهم ولن يستطيعوا شيئا حيالي . ليست لديهم أدلة ملموسة ضدي . لقد تعرضت البارحة لخطر ماحق ، ومنذ قليل اعتقدت أنني ضائع لا محالة واليوم تحسنت الأمور . ان كل الآثار التي بين أيديهم ذات وجهتين،

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وبعبارة أصح انني أستطيع أن أدير الامور القائمة ضدي لمصلحتي • هل تفهمين ؟ ولسوف أعمل ذلك : لأنني أصبحت الآن ملما بهذه المهمة •• لكنهم سيزجون بي حتما في السجن • ولولا حادث وقع اليوم لكنت الآن فيه • غير أنه يجوز أن يبعثوا بي الى السجن اليوم أيضا •• غير أنه لا خطر هناك ، يا سونيا • لسوف يسجنونني ثم يطلقون سراحي ••• لأنه ليس لديهم دليل واحد حقيقي ولن يكون لديهم ذلك الدليل• وأعدك • أما فيما يتعلق بما لديهم حتى الآن فانه لا يكفي للقضاء على رجل • هيا • في هذا الكفاية ••• أردت فقط أن تعلمي ••• أن أختي على ما يبدو في مأمن من الحاجة بالوقت الحاضر ••• وبالتالي فان أمي في مأمن كذلك • هذا كل ما في الأمر ••• وأخيرا كوني حكيمة • هل ستزورينني عندما أصبح في السجن ؟

ـ أوه ! سأحضر ، سأحضر !

كانا جالسين جنبا الى جنب حزينين منهوكين أشبه بالغريقين اللذين وجدا وحيدين وقد ألقت بهما العاصفة على شاطىء مقفر • كان يتأمل سونيا وهو يفكر في مقدار حبها له ؛ فكان ـ ولغرابة الامر ـ يشعر بعذاب وألم اذ يرى نفسه محبوبا هذا القدر • نعم ، كان ذلك احساسا غريبا مخيفا ! فهو عندما جاء الى سونيا شعر بأنها أمله وملاذه الوحيد• ظن أنه قادر على ازاحة جزء من عبئه فاذا به الآن يشعر فجأة بأنه أشد تعاسة من ذي قبل •

قال :

ـ يا سونيا ، يجدر بك ألا تأتي لزيارتي عندما أسجن •

لم تجب سونيا بل راحت تبكي • وانقضت بضع دقائق •

سألت فجأة وكأنها تذكرت شيئا :

ـ هل تحمل صليبا معك ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لم يفهم السؤال للوهلة الأولى .

ـ كلا ؟ ليس معك؟ خذ ! خذ هذا، انه مصنوع من خشب السرو . لدي واحد آخر من النحاس أعطتنيه اليزابيت . لقد أجرينا تبادلا ، اليزابيت وأنا ، فأعطتني صليبها وأعطيتها صورتي الصغيرة . والآن سأحمل صليب اليزابيت . وانت ستحمل هذا .. خذه .. انه صليبي! وطالما أننا سوف نتألم معا فلسوف اذن نحمل الصليب معا ..

قال راسكولنيكوف :

ـ هاتيه !

أراد أن يجاملها غير أنه سحب فجأة يده الممدودة لأخذ الصليب، وأضاف يطمئنها :

ـ ليس الان ، يا سونيا . فيما بعد . انه أجدى .

فأجابت بلهجة مؤمنة :

ـ نعم ، نعم ، انه أجدى . ستأخذه عندما تمضي لتكفر عن خطئك . لسوف تأتي الي وسوف أضعه حول عنقك . ولسوف نصلي ونمضي معا .

وفي تلك اللحظة قرع الباب ثلاثا ، وسمع صوت أنيس معروف يقول :

ـ يا صوفي سيميونوفنا ، هل أستطيع الدخول ؟

اندفعت سونيا مذعورة نحو الباب فظهر على عتبته وجه ليبيزياتنيكوف المضحك .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كان الاضطراب والقلق واضحين على وجه ليبيزياتنيكوف .

ـ جئت أبحث عنك يا صوفي سيميونوفنا ، فاعذريني.

وخاطب راسكولنيكوف فجأة بقوله :

ـ كنت أنتظر وجودك هنا : أقصد انني ما كنت أفكر في شيء.. مما يمكن أن يفكر الناس به ... لكنني كنت أفكر فقط ...

توقف برهة حائرا ، ثم أردف دفعة واحدة :

ـ لقد جنت كاترين ايفانوفنا !

ذهلت سونيا ، وعقلت الدهشة لسان راسكولنيكوف .

ـ انها تبدو كذلك على الاقل.ثم اننا هناك لا نعرف كيف نتصرف! يبدو أنها طردت حيث مضت ، بل ولعلهم ضربوها كذلك ... لقد هرعت الى رئيس زوجها السابق فلم تجده لأنه كان يتناول الطعام عند واحد من زملائه ... تصوروا أنها تبعته الى حيث كان يتناول الطعام لدى « جنرال » آخر و ـ لست أدري اذا كنتم تصدقون ـ أصرت هناك على مقابلة رئيس سيميون زاخاروفيتش واضطرته الى مغادرة الطعام . أعتقد أنكم تخيلتم الان النتيجة دون أن أذكرها . لقد طردوها بالطبع ! انها تدعي بأنها شتمته وأنها قذفته بشيء الى رأسه . ان ذلك غير مستبعد وقد أدهشني شخصيا أنها لا تزال طليقة السراح . انها الآن تروي هذه القصة لكل من يرغب في الاصغاء اليها بما في ذلك أميلي ايفانوفنا . غير أنه من العسير فهم كلماتها لشدة ارتباكها واسراعها في الحديث ... آه ! نعم ، تقول انها عازمة على اصطحاب

CVISION
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أولادها والمضي الى الشوارع لتعزف على الأرغن طالما أنها أصبحت مهجورة من الجميع ، وهي تؤكد أنها ستجعل أولادها يرقصون ويغنون معها لاستجداء أكف المحسنين ، وأنها ستقصد كل يوم نوافذ منزل « الجنرال » . انها تؤكد : « أنه سيرى على هذه الصورة أولاد موظف محترم يتسولون في الشوارع ! » انها تضرب أولادها وهم يبكون. انها تعلم لبنبا أغنيه « المزرعة الصغيرة (١) » ، وترغم الطفل الصغير على الرقص وكذلك بولين ميخائيلوفنا (٢) . انها تمزق ثيابهم ... وتضع لهم قلنسوات كتلك التي يضعها المهرجون على رؤوسهم . وهي تزمع حمل « طست » تضرب عليه على غرار الموسيقيين ... انها ترفض الاستماع الينا . تصوروا قليلا كل هذا ! لا يمكن تركها تفعل ذلك !

كان ليبيزياتنيكوف على وشك الاسترسال في الحديث ، غير أن سونيا التي أصغت اليه حتى تلك اللحظة مبهورة الأنفاس لم تستطع الانتظار أكثر من ذلك . اختطفت قبعتها ودثارها واندفعت خارج الغرفة تستكمل ارتداء ثيابها في الطريق ، وتبعها راسكولنيكوف وفي اثره ليبيزياتنيكوف . وبينما هما في طريقهما قال ليبيزياتنيكوف :

ـ انها مجنونة حقا ! لقد قلت لسونيا « انها تبدو كذلك » كيلا أفزعها ، غير أنها مجنونة ولا مجال للشك في جنونها . يبدو أن هذه الحالة شائعة في أدمغة المصابين بالسل . انني لآسف لجهلي بالطب . بيد أنني حاولت اقناعها لكنها لم تكن تصغي لأحد !

ـ هل حدثتها عن التدرن والسل ؟

ـ لم أحدثها عن التدرن بالذات . ثم انها ما كانت لتفهم قولي لو أني حدثتها عنه . لكنني أعتقد أنك اذا استطعت اقناع المرء بواسطة

---

(١) أغنية شائعة في روسيا

(٢) « بوليا » كبرى بناتها

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

المنطق أنه ليس ثمة في الحقيقة ما يستوجب البكاء، لكف عن البكاء فورا • ألست من رأيي في ذلك ؟

أجاب راسكولنيكوف :

ــ لو صح ذلك لكانت الحياة كثيرة السهولة •

ــ عفوا ، عفوا ! انه ولا شك عسير على واحدة مثل كاترين ايفانوفنا أن تفهم ذلك • لكن أتدرى أنه أجريت في باريس تجارب جدية تتعلق في امكانية شفاء المجانين باستعمال الايحاء وحده ؟ ان أستاذا من كبار العلماء هناك ــ وقد مات مؤخرا ــ قرر أنه يمكن الشفاء على هذا الشكل • ان نظريته على أن المجانين لا يشكلون خللا عضويا خاصا ، بل ان الجنون ليس الا ــ اذا جاز القول ــ نوعا من الخطأ في المنطق والتفكير • وانه ليس الا وجهة نظر مغلوطة • لذلك فقد راح يناقش أقوال المريض ويدحضها و ــ تصور ــ أنه على ما يبدو بلغ هدفه ! لكن نتائج هذا العلاج بحاجة الى ضمان طالما أنه استعمل المقاييس البسيكولوجية فيه ••• غير أنه حسب المظاهر •••

لم يكن راسكولنيكوف يصغي الى حديث ليبيزياتنيكوف ، فلما بلغ منزله حياه باشارة من رأسه وانعطف فجأة يجتاز الباب الخارجي• فتوقف ليبيزياتنيكوف مشدوها بعض الشيء وألقى نظرة حوله ثم استمر في سيره •

دخل راسكولنيكوف « زنزانته » ووقف في وسطها يتساءل عن سبب مجيئه • ألقى نظرة على الاوراق المصفرة الممزقة التي تكسو الجدران ، وعلى الغبار المتراكم ، ثم توقف بصره عند « الأريكة السرير » • كان صوت ملح عنيف ينصاعد من الباحة وكأن بعضهم يغرس مسامير في مكان ما • فاقترب من النافذة وتطاول على أطراف قدميه وراح ينظر الى الباحة باتتباه خارق وقتا طويلا • غير أن الباحة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كانت حالية . لم يكن هناك شبح انسان يمكن أن يحدث مثل هـذا الضجيج . كان الى اليسار عدد من نوافذ الجناح مفتوحة وقد وضعت في حافة كل منها أصص فيها زهور ذابلة . وعلى الشرفات علقت ثياب وبياضات . كان يعرف هذه المشاهد عن ظهر قلب . فاستدار وعاد الى الأريكة يجلس عليها .

أبدا لم يشعر أنه شديد الوحدة كتلك اللحظة ، أبدا !

نعم ، شعر من جديد أنه لا شك بمقت سونيا وخصوصا الآن بعد أن زار في تعاستها . وخاطب نفسه قائلا : « لماذا ذهبت اليها أستجدي دموعها ؟ ما الذي كان يدعوني الى تسميم حياتها ؟ يا للنذالة ! »

وفجأة قال بعزم : « سأبقى وحيدا ! لن تأتي لمشاهدتي في السجن ! »

رفع رأسه بعد خمس دقائق وقد غمرت وجهه ابتسامة غريبة . خطرت له فكرة عجيبة : « لعل السجن خير من هنا »

لم يستطع أن يتذكر كم من الوقت مضى عليه وهو يستعرض في رأسه سيلا من الافكار الغامضة ، وفجأة فتح الباب ودخلت أفدونا رومانوفنا . وقفت برهة على العتبة تتأمله كما فعلت من قبل سونيا ، ثم تقدمت وجلست قبالته على مقعد في المكان الذي احتلته أمس . فراح يتأملها بسكون ويحدجها بنظرة خالية من كل تفكير .

كان وجه دونيا يحمل طابعا وقورا دون صرامة ، وكانت نظرتها صافية هادئة . كان يرى أنها لم تأت الا مدفوعة بمحبتها . قالت :

ـ لا تحنق ، يا أخي ! لن ألبث معك أكثر من دقيقة .

وتوقفت برهة ثم أردفت :

ـ انني أعرف الان كل شيء يا أخي ، « كل شيء » . لقد حدثني دميتري بركوفيتش بكل شيء ، وشرح لي كل شيء . انهم يضطهدونك

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ويعذبونك بسبب شبهة حمقاء بشعة . لقد قال دميتري بروكوفيتش انك لا تستهدف لأي خطر ، وانك تزعج نفسك دون مبرر . انني لست من رأيه لأنني أفهم أن هذا يثيرك وأن أية اهانة كهذه تستطيع أن تترك آثارا لا تمحى في حياتك ، وهذا ما أخشاه . لقد هجرتنا ولست أحكم عليك لأنني لا اجرؤ على اصدار الحكم . وأرجو أن تصفح عني للتأنيب الذي وجهته اليك . أشعر أنني لو كنت فريسة لهم كهذا لابتعدت أنا الأخرى عن العالم كله . لن أحدث أمنا بشيء من هذا القبيل ، بل سأثابر على اقناعها بأنك لن تتأخر في العودة الينا فلا تبتئس من أجلها . سوف أحدثها عنك وأطمئنها . وأنت من جانبك لا تعذبها ، يا أخي . تعال مرة واحدة واذكر أنها أمك .

وتناهضت دونيا مستعدة للخروج ، وأردفت :

ـ لقد جئت الان أقول فقط أنه حالما تحتاج الي لأي سبب كان ... لك أن تتصرف بحياتي ... ادعني وسأحضر . الوداع .

وأدارت ظهرها فجأة واتجهت نحو الباب .

نهض راسكولنيكوف واقترب منها ، وقال :

ـ دونيا . ان هذا الـ « رازوميخين » ، دميتري بروكوفيتش ، رجل ممتاز .

صعدت حمرة خفيفة الى وجه دونيا وسألت بعد لحظة صمت :

ـ اذن ؟

ـ انه رجل نشيط دؤوب شريف ومقتدر ، متين العاطفة ... الوداع ، يا دونيا ...

كان وجه دونيا مصطبغا بحمرة قانية ، غير أن عبارة أخيها الأخيرة روعتها .

ـ لكن ماذا ، يا أخي ؟ هل تفترق الى الأبد ؟ حتى ... توصيني بمثل هذه الوصية ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ ذلك لا يهم ... الوداع ...

ابتعد متجها نحو النافذة ، فانتظرت برهة ونظرت اليه باكتئاب ثم خرجت شديدة الغم .

لم يكن يشعر نحو دونيا بالبرود ، كلا . لقد مرت عليه لحظة ـ اخر لحظة ـ شعر فيها برغبة عنيفة تدفعه الى ضمها بين ذراعيه والاستئذان منها ثم اطلاعها على كل شيء . مع ذلك فانه لم يستطع أن يقنع نفسه بأن يمد لها يده مودعا .

حدث نفسه قائلا : « لعلها سترتعد كلما ذكرت أنني عانقتها. ولربما قالت أنني سرقت قبلاتها ... ثم هل تستطيع احتمال مثل هذا الاعتراف أم لا تستطيع ؟ كلا ، انها لن تستطيع احتماله ، انها من تلك النسوة اللاتي لا يحتملن أبدا مثل هذه الأشياء ... »

وشرد ذهنه في اتجاه سونيا .

كانت ريح رطبة تدخل من النافذة ، وقد خفت الضباب قليلا في الخارج فحمل قبعته فجأة وخرج .

كان لا يستطيع ولا شك ، وبالتالي لا يريد أبدا ، أن يعنى بحالته المرضية . غير أن هذه الهموم الملحة ، وذلك الهول المعنوي ، لن يلبث أن يحدث انعكاسات في نفسه . واذا كانت الحمى لم تصهره حتى الان فلعل السبب راجع الى ذلك القلق المقيم الذي يجعله دائما في حالة من حالات التيقظ والحذر رغم أنها حالة غير طبيعية وموقتة .

تاه دون هدف وكانت الشمس قد غربت . كان يحس منذ بعض الوقت بحزن خاص . أوه ! لم تكن في ذلك الحزن حدة بل كان يشعره فقط ـ على نسق أبدي ملح ـ بالسنوات التي عليه أن يقضيها فريسة قلق مميت مخيف ، وبذلك اللون من البقاء الأبدي « على مساحة قدم مربعة » ! كانت تلك الفكرة تضيق عليه ـ عاده ـ وتكاد أن تخنقه في

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ساعات المساء أكثر من أي وقت اخر .

غمغم بصوت حمود : « كيف أستطيع الامتناع عن ارتكاب حماقات بمثل هذا المرض الجسدي السخيف الذي يتأثر بأي غروب شمس ! انني أكاد أن أمضي ، ليس الى سونيا فحسب ، بل الى دونيا كذلك » .

شعر بمن يناديه فتلفت حوله واذا ليبيزياتنيكوف يجري في اثره.

ــ تصور أنني جئت توا من مسكنك ! انني أبحث عنك . تصور! لقد نفذت مشروعها وأخذت الاطفال معها . ولقد وجدنا صوفي سيميونوفنا وأنا عناء كبيرا في اكتشاف مكانهم . انها تضرب على مقلاة وترغم الاولاد على الرقص . والاطفال يبكون. انهم يتوقفون على مفارق الطرق أمام الدكاكين . ان عددا من المأفونين يتبعونهم في كل مكان . هيا بنا !

سأل راسكولنيكوف قلقا، وهو يحث الخطى في اثر ليبيزياتنيكوف:

ــ وسونيا ؟

ــ لقد فقدت عقلها بكل بساطة ، أقصد أنه ليس سونيا هي التي فقدت عقلها ، بل كاترين ايفانوفنا . بل ان سونيا تكاد أن تصبح مثلها، أما كاترين ايفانوفنا فقد فقدت عقلها تماما ، انني أقوله لك : انها مجنونة تماما . لسوف يسوقونهم جميعا الى القسم . باستطاعتك أن تتصور سلفا تأثير ذلك عليها . انهم الآن على الرصيف قرب جسر ايكس ...» غير بعيد عن منزل صوفي سيميونوفنا ، على بعد خطوتين من هنا.

على رصيف القنال غير بعيد عن الجسر قرب البناء الثالث بعد المسكن الذي تقطن فيه سونيا ، كان جمع من الناس محتشدا يضم في عداده عددا كبيرا من الفتيات والغلمان الصغار . وكان صوت كاترين ايفانوفنا الأجش الصدىء يسمع وهي في مكانها قرب الجسر . كان

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

المشهد غريبا حقا جديرا باكتساب جمهور المتسكعين • كانت كاترين ايفانوفنا مرتديه ثوبها العتيق متشحة بالشال العتيد وعلى رأسها قبعة بالية من القش محطمة مشوهة • كان الجنون واضحا عليها وكانت تعبة منهوكة لاهثة ينبىء وجهها بالألم الذي لم يظهر عليه مثيل من قبل • اذ المعروف أن المصدورين يبدون في الطريق أشد مرضا مما هم عليه في مساكنهم ، رغم ذلك فان نشاطها لم يكف لحظة ••• كانت المرأة التعسه تزداد انفعالا وغضبا دقيقة فدقيقة • كانت تندفع نحو أولادها ، تصرخ في وجوههم وتشجعهم وتعلمهم الرقص والغناء على مشهد من المحتشدين فتفسر لهم كل ما هو ضروري واجب في مهنتهم الجديدة ، ثم تشعر أن ذكاءهم يعجز عن استيعاب ما تقول فتنهال عليهم ضربا وتدعهم دون أن تنهي تعليماتها لتخاطب الجمهور • فاذا وجدت بين المحتشدين رجلا مرتديا ثيابا فيها شيء من التناسق هرعت اليه تشرح له الى أى منحدر انحدر « أولاد أسرة نبيلة يمكن القول انها أرستقراطية » • واذا سمعت بعضهم يضحك بين المتجمهرين أو صك سمعها أحد فانها كانت ترتمي على أولئك المستهزئين تفهمهم وتهاجمهم •

كان بعضهم يضحك حقيقة لهذا المشهد والبعض الاخر يهز الرؤوس • لكن الفريقين كانا ينظران بفضول الى تلك المجنونة وأولادها المذعورين • لم يكن للمقلاة التي تحدث عنها ليبيزياتنيكوف أي وجود أو على الاقل لم يكتشف راسكولنيكوف وجودها • لكنها بدلا من أن تضرب على مقلاة ، راحت كاترين ايفانوفنا تصفق بيديها بايقاع متناسق مرغمة بوليا على الغناء ولينيا وكوليا على الرقص، بل انها كانت ترغم نفسها أحيانا على الدندنة • لكنها ما أن تبلغ فى غنائها المقطع الثاني حتى تنتابها بانتظام نوبة عنيفة من السعال تقطع عليها سير الغناء، فتيأس وتلعن السعال بل وتمضي في يأسها حتى البكاء • وكانت دموع كوليا ولينيا ورعبهما يخرجانها عن صوابها أكثر من متاعبها الأخرى • فقد

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

جهدت بكل قوة في الباس أولادها ما يشبه ألبسة المغنين المتجولين ، فكان الطفل الصغير معمما بقماش أحمر وأبيض كأحد الأتراك ، أما لينيا فان قماش العمامة لم يسمح بفائض تصنع منه ثوبا لها ، فألبستها على رأسها قلنسوه ذات لون أحمر فاتح ـ تلك التي كان المرحوم سيميون زاخاريتش يضعها على رأسه عند النوم ـ وغرست فيها نتفا من ريش النعام الابيض . كانت كاترين ايفانوفنا تحتفظ به عن جدتها الكبرى في صندوقها باسم ذكريات عائلية . وكانت بوليا تلبس ثوبها الاعتيادي وتنظر الى أمها بخوف وارتباك وتواكبها خطوة فخطوة ساعية الى اخفاء دموعها عنها عارفة أنها أصبحت مجنونة ، فكانت تلقي حولها نظرات مروعة بين حين واخر ـ نظرات مروعة تنقلها بين وجوه المارة والشارع .

لبثت سونيا تتبع كاترين ايفانوفنا وهي تتوسل اليها باكية أن تعود الى المسكن ، غير أن توسلاتها ودموعها لم تستطع اثناء كاترين ايفانوفنا عن عزمها . كانت تصيح بصوت متهافت وهي تلهث وتسعل :

ـ دعيني يا سونيا دعيني ! انك لا تعرفين شخصا ماذا تطلبين ! انك كالطفل الصغير ! لقد قلت لك من قبل انني لن أعود الى مسكن ذلك الألماني القذر ، ليشهد العالم ولتشهد بطرسبورغ كلها كيف أن أولاد أب نبيل خدم بلاده طيلة حياته بولاء واخلاص ومات ـ وستطيع القول ـ وهو يقوم بواجباته ، أصبحوا متسولين في الشوارع (كانت كاترين ايفانوفنا قد صورت لنفسها تلك الصورة الخيالية عن زوجها الاول وآمنت بها ايمانا أعمى على عادتها) ، ليشهد ذلك « الجنرال » عديم الشأن هذا ! هيا يا سونيا انك حمقاء ، قولي ماذا نعمل لكسب قوتنا ؟ لقد استثمرناك حتى اليوم بما فيه الكفاية ولست أرغب في الاستمرار ! آه ! أهذا أنت ، يا رروديون رومانوفيتش ؟

كانت هذه الصرخة التي أطلقتها المجنونة دليلا على أنها شاهدت

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

راسكولنيكوف وعرفته • فاندفعت نحوه وقالت بصوتها المبحوح :

ــ أرجوك أن تفهم هذه الحمقاء الصغيرة أنه ليس لنا أحسن من هذا السبيل ! ان عازفي الأرغن أنفسهم يستطيعون اقتناص شيء مـا، ولسوف يميزنا الجمهور نحن الاخرين • لسوف يعرفون أننا أسرة نبيلة سحقتنا الفاقة • ولسوف يفقد ذلك « الجنرال » القذر مركزه • لسوف نرى ! سوف نقف كل يوم تحت نوافذه وسيمر الامبراطور فأركع على ركبتي وأدفع أولادي أمامه فأقول له مشيرة بيدي اليهم : « أيها الأب! احمنا ! » • انه أبو الايتام ، انه رحيم ، وسترون أنه سيحمينا • أما ذلك « الجنرال » الصغير الحقير ••• انصبي قامتك يا لينبا ، وأنت يا كوليا سوف تعبد هذه الرقصة ! ما بك تنتحب ؟ ها هو ذا يبكي من جديد ! أيها السخيف الصغير مم تخاف ؟ رباه ! ماذا أصنع بهم ، يـا روديون رومانوفيتش ؟ ليتك تعلم مقدار عباوتهم ! ماذا أعمـل بـأولاد مثل هؤلاء !

كانت هي نفسها على وشك البكاء ــ رغم أن ذلك كان بمنعها من الاسترسال في الكلام ــ مع ذلك فقد كانت تشير الى أولادها المنتحبين • حاول راسكولنيكوف اقناعها بالعوده الى المنزل • بـل انه استنجـد بكرامتها وكبريائها معلنا أنه ليس من المناسب قطع الشوارع كالعازفين على الأرغن بينما كانت تأمل أن تصبح مديرة معهد للبنات •

ــ معهد للبنات ! هاهاها ! هل تفكر في هذا !

واهتزت كاترين ايفانوفنا اثر ضحكتها بنوبة من السعال فلمـا تخلصت منها استرسلت :

ــ كلا ، يا روديون رومانوفيتش • لقد تبخر ذلك الحلم ! لقد هجرنا كل الناس وهـذا « الجنـرال » !•• أتعـرف ، يـا روديـون رومانوفيتش ، أنني قذفت بمحبرة الى وجهه ، تلك المحبرة التي كانت

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

على النضد في الزاوية الى جانب الورقة التي كان الزوار يكتبون أسماءهم عليها • لقد كتبت اسمي أنا الاخرى ، وعندما قذفت بتلك المحبرة بادرت الى الفرار • أوه ! الأنذال ، الانذال ! لكنني لست أبالي • لسوف أطعم أولادي بنفسي منذ الان ولن أنحني أمام أحد•

ثم أشارت الى سونيا ، وأردفت :

ــ لقد عذبناها كفاية • بوليا ! كم جمعنا حتى الان ؟ أرني! كيف؟ كوبيكان فقط ؟ أوه ! يا للحثالات ! انهم شديدو التمسك بقروشهم•• انهم يكتفون بملاحقتنا والهزء بنا ! ما بك يا بوليا ، كلميني بالفرنسية• كيف يستطيعون معرفة انتمائك الى أسرة نبيلة والتأكد من أنكم ذوو تربية رفيعة لا تشبهون الموسيقيين المتجولين الاخرين ؟ لقد علمتك الفرنسية• انك تعرفين بضع جمل • صحيح اننا لن نمثل «غينيول» (١) في الشوارع لكننا سنغني فصصا شعرية وبصوت جميل • آه ! نعم ، ماذا سنغني ؟ انكم تقاطعونني دائما ونحن ••• كما ترى ، با روديون رومانوفيتش ، لم نتوقف هنا الا لنقرر ماذا كنا سنغني : ينبغي أن تجد أغنية يستطيع كوليا أن يرافقني على اقاعها وهو يرقص لأننا ــ والك أن تعتقد ــ أخذنا في كل هذا على حين غرة • ينبغي أولا أن نتشاور بخصوص التجارب الأولى ، ثم سنمضي الى موقع نيفسكي حيث المتنزهون المعتبرون كثيرون ولسوف نلفت الانظار الينا هناك • ان ليتيان تعرف أغنية « المزرعة الصغيرة » لكن تكرار هذه الأغنية باستمرار يصبح مزعجا ثم ان كل الناس يعنونها ! ينبغي أن نغني نحن شيئا أرفع من هذا ••• واذن ••• بوليا هل خطرت لك فكرة ما ؟ لينك

---

(١) Guignol الشخصية الرئيسية في السينما الشعبية الفرنسية على طريقة « كراكوز » عندنا نرجع الى اواخر القرن الثامن عشر . كان (غينيول) وصديقه (ينافرون) مشهورين جدا في طول فرنسا وعرضها . ــ المترجم ــ

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

تساعدين أمك قليلا ! ان ذاكرتي تخونني ولولا ذلك لسهل كل شيء ! على فكرة ألا يمكننا أن نغني : « الفارس المتكيء على سيفه ! » آه ! لنغن بالافرنسيه « خمسة قروش » . لقد علمتكما هذه الأغنية من قبل وخصوصا لأنها أغنية فرنسية . لسوف يرى الجميع أنكم أبناء نبلاء وسيكون ذلك أدعى للشفقة ... ونستطيع كذلك أن نغني « مالبرو يمضي الى الحرب » ! خصوصا وأنها قصيدة غنائية للاطفال يغنونها في كل البيوتات الارستقراطية لتنويم الاطفال .

مالبرو ذاهب الى الحرب
لا يدري متى سيعود ...

شرعت تغني ... لكنها فجأة أبدلت رأيها :

لنغن « خمسة فروش ! » انها أحسن . هيا ، يا كوليا ! ضع يديك على وركك ، أسرع ! وأنت يا لينبا استديري في الاتجاه المعاكس . سنرافقكما ـ بوليا وأنا ـ ونضبط الايقاع بالتصفيق .

خمسة قروش ، خمسة قروش
لنتدبر نفقات البيت ...

« هي هي هي ! ـ وعاودتها نوبه عاتية من السعال ـ أصلحي ثوبك يا بوليا ، انه يكاد ينزلق عن كتفيك » .

واسترسلت تتكلم خلال سعالها :

ـ ينبغي الان أن تتصرفوا تصرفا حسنا ، وأن تظهروا كما يجب ليعرف الناس أنكم أولاد نبلاء . كنت أعتزم أن أجعل هذا الثوب أكثر طولا لكنك أنت يا سونيا أشرت الي أن أجعله قصيرا . فانظري الان كيف يزيد في بشاعة هذه الطفلة... هيه! ها انكما تعاودان البكاء !.. لكن ماذا بكما ، أيها الأحمقان ؟ هيا ، يا كوليا ، تحرك أكثر ، نحن ... أوه ! انه طفل لا يحتمل !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

خمسة قروش ، خمسة قروش ..

ماذا ! أجندي كذلك ! ماذا تبتغي ؟

كان أحد جنود المدينة يشق لنفسه طريقا بين المتجمهرين ، غير أن رجلا آخر ــ بلباس رسمي ومعطف مأمور جليل الشأن في الخمسين من عمره يحمل حول عنقه وساما ، الأمر الذي زاد في سرور كاترين ايفانوفنا وأرهب جندي المدينة ــ تقدم في تلك اللحظة بالذات نحو كاترين ايفانوفنا مادا يده اليها بورقة من ذات الثلاثة روبلات ، قدمها اليها بصمت .

كان وجهه يعبر عن شفقة بليغة وحنان أكيد ، فتقبلت كاترين ايفانوفنا تلك المنحة وهي تنحني أمامه محيية انحناءه مهذبة عميقة .

شرعت تقول بلهجة العظمة :

ــ انني أشكرك ، يا سيدي ... ان الاسباب التي دفعتنا ... بوليا خذي النقود ؛ هل رأيت، هناك رجال كرماء شهام مستعدون لاغاثة سيدة نبيلة سقطت في العوز ، انظر يا سيدي ! هؤلاء أولاد نبلاء بل ويمكن القول انهم ينتسبون انى أرفع الأرومات الارستقراطية حسبا ... وذلك « الجنرال » القذر كان جالسا الى مائدة الطعام يأكل الدراريج . لقد ضرب الارض بقدمه من الانفعال لانه أزعج . قلت له: يا صاحب السعادة . احم البتامى . يا من عرفت أكثر من غيرك المرحوم سيمون زاخاروفيتش . ان ابنته أهينت من قبل أبشع الخليقات ».

ووقع بصرها مرة أخرى على الجندي ، فصرخت تخاطب الموظف الكبير :

ــ احمني ! لم يتبعني دائما هذا الجندى ، لقد فررنا من واحد آخر في شارع « بورجواز » .ماذا تريد ، أيها السخيف !

ــ ان اثارة الضوضاء في الشوارع ممنوعة . أرجو أن تتصرفي بلباقة !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ انك أنت الخالي من اللياقة ! انني أتصرف كما لو كنت أعزف على الأرغن ، فهل هذا يعنيك في شيء ؟

ـ لكي يعزف المرء على الارغن ينبغي أن يحصل على ترخيص • انك بهذا الشكل تجمهرين المارة • أين تقطنين ؟

صرخت كاترين ايفانوفنا :

ـ كيف ! ترخيص ؟ لقد دفنت زوجي اليوم ، وأعتقد أن هذا ترخيص كاف •

قال الموظف متدخلا :

ـ سيدتي ، سيدتي ، اهدئي ! تعالى سأرافقك ••• ان وجودك بين هذا الحشد غير لائق••• انك مريضة متألمة •••

ـ سيدي ، سيدي انك لا تدري شيئا • سوف نمضي الى موقع « بيفسكي » • سونيا ! سونيا! لكن أين ذهبت؟ انها تبكي هي الاخرى! لكن ماذا بكم ، أنتم جميعا ؟

ثم صرخت فجأة مذعورة :

ـ كولبا ، لينا ، أين أنتما ؟ يا للأولاد الحمقى ! كولبا ، لينيا ، أين أنتما اذن ؟••

كان الطفلان ، كوليا ولينيا ، قد بلغ الرعب بهما مبلغا أفقدهما صوابهما ، خصوصا بعد تصرفات أمهما الشاذة واشتداد تكالب الجمهور حولهم • فلما شاهدا الجندي مقبلا وفي نيته سوقهما مع أمهما وأختهما الكبرى، أخذ كل منهما بيد الاخر ومضيا يركضان هاربين وكأن اتفاقا مسبقا كان يقوم بينهما ! اندفعت كاترين ايفانوفنا المسكينة تركض وراءهما مزمجرة منتحبة • كان هذا المشهد من أشد المشاهد مجلبة للحزن ، وأكثرها شناعة • فقد كان الطفلان يركضان وأمهما على آثارهما ، وسونيا وبوليا تتبعانها ركضا كذلك • كانت الأم تصيح :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ أعبديهما ! أعيديهما ، يا سونيا ! أوه ! يا للأولاد الحمقى ، يا للعقوفين ! بولنا ! أوقفيهما ... انني من أجلكم ...!

وتعثرت في ركضها فسقطت على الأرض ، وهتفت سونيا وهي تنحني فوقها :

ـ آه ، يا رب ! انها مغطاة بالدم !

وتهافت الناس ، ولم يلبث المتطلعون أن ضربوا حلقة حولهم. كان راسكولنيكوف وليبيزياتنيكوف أول من هرع اليها ، ولم يلبث الموظف أن وصل لاهثا يتبعه الجندي وهو يغمغم : « آه ! لكن » ... ويستعيض عن الكلام باشارات من يديه ليعبر عن سخطه . راح يصيح بالمتطفلين المجتمعين :

ـ هيا انفضوا ! اذهبوا .

هتف أحدهم :

ـ انها تموت !

وأضاف آخر :

ـ لقد طاش صوابها .

وتمتمت عجوز ، وهي ترسم علامة الصليب :

ـ رباه ! احفظها ! هل جاؤوا بالبنية والطفل ؟ هه ! لقد أطبقت عليهما الأخت الكبرى ... هيا ، أيها الطائشان !

عندما عوينت كاترين ايفانوفنا تبين أن ذلك الدم الذي انسفح على بلاط الشارع لم يكن مصدره جرح أحدثه حجر كما توقعت سونيا ، بل كان مصدره صدرها : لقد كان الدم ينبعث من فم السكينة .

همس الموظف مخاطبا راسكولنيكوف وليبيزياتنيكوف :

ـ انني أعرف هذه الأعراض ولقد شاهدت ... من قبل . ان الدم يفور هكذا ويسبب الاختناق . لقد كنت شاهدا في حالة

CVISION TECHNOLOGIES

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

مماثلة وقعت لاحدى قريباتي • لقد قذفت هي الاخرى بأكثر من قدح من الدم ••• فجأة ••• ما العمل لسوف تموت •••

هتفت سونيا ضارعة :

ــ هنا ، هنا الى مسكني ! انني أقطن هنا في هــذه الــدار ••• الثانية • لتحمل الى غرفتي بسرعة • وليستحضر طبيب !••• آه يا رب!

كانت سونيا تثب من واحد الى آخر تستحثه وتتضرع اليه • وقد توصل الموظف بمجهوداته يساعده الجندي الى نقل كاترين ايفانوفنا ، فلما أسجوها على سرير سونيا كانت في النزع الاخير • لبث النزيف متواصلا ، غير أن المريضة بدت على شيء من صفاء الذهن • وكان في الغرفة الى جانب سونيا وراسكولنيكوف وليبيزياتنيكوف ، الموظف والجندي الذي راح يطرد الفضوليين المتطفلين ويمنعهم من الدخــول• ووصلت بوليا تمسك بيدي كوليا ولينيا وهما يرتعدان ويبكيان• وهرع بعض أفراد عائلة كابيرناوووموف • جاء الاب وهو أعرج أعور ذو شعر وسالفين منفوشين كشلة من الحرير بعطيانه مظهرا شاذا • وتبعته زوجه التي تبدو مذعورة أبدا ، وعدد من أطفالهما الذين تبدو وجوههم وكأنها قدت من الخشب وأفواههم المفتوحة تنبىء بدهشة مقيمه •

وفجأة ظهر سفيدريكايلوف بين الجمهور المحتشد • نظــر اليه راسكولنيكوف ذاهلا وهو لا يدرك كيف وجد هنــا ومن أين جاء • وتحدث بعضهم عن استدعاء الطبيب والقس ، فأمر الموظف أن يؤتى بهما رغم أنه همس في أذن راسكولنيكوف يعبث المحاولة وعقمها • ومضى كابيرناوووموف ينفذ الأمر•

بدت كاترين ايفانوفنا هادئة قليلا ، وانقطع النزيف موقتا • ألقت نظره ألبمة ثاقبة على سونيا المسكينة التي كانت شاحبة مرتعدة ، تمسح العرق الذي كان ينثال على جبينها ، ثم طلبت أن ترفع قليلا في مكانها

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فأجلسوها على السرير بعد أن أسندوها من كل جانب .

سألت بصوت ضعيف :

ـ الأولاد ... أين الاولاد ؟ هل أتيت بهم ، يـا سونيا ؟ أوه ! السخفاء !... لم فررتما اذن ؟... أوه !...

كان الدم يغطي شفتيها الجافتين . سرحت الطـرف حولهـا ثـم قالت :

ـ هكذا اذن تعيشين ، يا سونيا ! انني لم أدخل الى مسكنك من قبل أبدا ... كان ينبغي من أجل ذلك ...

ونظرت اليها نظرة مفعمة بالاشفاق والحنان :

ـ لقد استثمرناك ، يا سونيا ... بوليا ، لينيا ، كوليا ، تعالوا هنا ... ها هم ، يا سونيا ... خذيهم كلهم... انني أودعهم بين يديك ... ها ! دعوني ، دعوني أموت مرتاحه ...

وسقط رأسها على الوسادة .

ـ ماذا ؟ قسيس ؟... لا حاجة ... هل لديكم روبل زائد ؟... انني لا أحمل خطايا على ضميري .... وحتى لو كنت مخطئة فيجب أن يغفر لي الله ... انه يعلم كم تألمت ! وادا لم يغفر ، لعمري لا أبالي!

استولى عليها هذيان محزن راح يزداد باضطراد . كانت تنتفض أحيانا فتنظر حولها وتتعرف على الوجوه خلال دقيقة لكنها لا تلبث أن تسقط في هذيانها من جديد بعد فترة الصحو والاشراق ، وكان تنفسها صعبا أليما ، وكان يتعالى من حنجرتها صوت أشبه بالحشرجة .

صاحت ، وهي تتوقف بعد كل كلمة :

ـ قلت له ، يا صـاحب السعـادة ! آه ! هـذه الـ « أميـلي لوديكوفنا » ! ... لينيا ، كوليا ، ضعا أيديكما على وسطكما . أسرعا، أسرع من هذا ، تحركا، صححا الخطى ! اقرعا كعبيكما! كن طفلا وديعا! ما هي تلك الأغنية ؟ آه ! هذا ما يجب غناؤه .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وراحت تغني بالالمانية أبياتا لهنريخ هايني، ثم مقاطعا لليرمونتوف.

ـ آه ! كم أحببت هذا ! لقد كنت أعيد هذه القصيدة . بوليا، أتعرفين ؟ لقد كان أبوك يغنيها لما كنا خطيبين ... آه من الأيام ! هذا ما كان يجب أن نغنيه ! لكن كيف ، كيف وقع ذلك ؟ لقد نسيتها . لكن ذكروني بتلك القصيدة !

كانت شديدة الانفعال والاضطراب تحاول النهوض . وأخيرا رفعت عقيرتها بصوت مخيف أجش محطم ، وراحت تغني وهي تصرخ صرخة وتشهق بشدة بعد كل كلمة بينما راح وجهها يعبر عن رعب متزايد :

تحت نيران الظهيرة
في وادي داغستان
والرصاص في الصدر ...

زمجرت ، وهي تنتحب نحيبا يمزق القلوب وقد تفجرت الدموع من عينيها :

ـ يا صاحب السعادة ! احم اليتامى ! اكراما لذكرى الضيافة التي حصلت عليها لدى المرحوم سيميون زاخاريتش ... بل يمكن القول أرستقراطية ! آه !...

وانتفضت انتفاضة عنيفة وهي تحاول تذكر شيء . وفجأة راحت تتأمل بذعر وجوه الموجودين، لكنها عرفت من بينهم سونيا على الفور فهتفت بصوت حان رقيق وكأنها دهشت لرؤيتها أمامها :

ـ سونيا ! سونيا ! عزيزتي سونيا ، انك أنت الاخرى هنا ؟

أجلسوها من جديد . فصرخت بيأس وحقد :

ـ كفى !... لقد آن الوقت ! الوداع !.. ان الفرس الهزيلة تنفق !...

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وتهاوى رأسها على الوسادة ...

سكنت قليلا ، غير أن تلك اللمحة من الهدوء لم تدم طويلا • اندفع وجهها المصفر الملطخ الى الوراء • وانفتح فمها واستطال ساقاها بحركة تشنجية ثم زفرت زفرة عميقة وسكنت ...

ارتمت سونيا على جثتهـا وأحاطتها بـذراعيها وضغطت رأسها على صدر المتوفاة بألم ، بينما جلست بوليا عند قدمي أمهـا وراحت تقبلهما وتغسلهما بدموعها • أما كوليا ولينيا اللذان ما كانا يفهمان بعد شيئا مما وقع فقد ارتمى كـل منهما بين ذراعي الآخر ، وشخصا بأبصارهما الى بعضهما وفغرا فاهيهما وشرعا يبكيان • كان كلاهما في ألبسته : ألبسة المهرجين • واحدهما معمم والآخر يضع على رأسه قلنسوة غرزت فيهـا ريشة نعام •

لم يعرف أحد كيف وصلت الشهادة الفخرية العتيدة فجأه الى السرير بجانب كاترين ايفانوفنا • لقـد كانت موضوعه على الوسادة ، ورآها راسكولنيكوف •

انسحب راسكولنيكوف الى النافذة فتبعه ليبيزياتنيكوف مسرعـا وقـال :

ـ لقد ماتت •

وهنا تقدم سفيدريكايلوف :

ـ يارووديون رومانوفيتش ! عندي كلمتان مستعجلتان أقولهما لك •

فانسحب ليبيزياتنيكوف متسللا تاركا مكانـه لسفيدريكايلوف ، فجاء هذا وأخذ بيد راسكولنيكوف المشدوه وانتحى به جانبا :

ـ ان كل هذه الأشياء وأقصد المأتم وما يليه أعـدها على حسابي• ولسوف يكلفني هذا مالا ولكنني ذكرت لك من قبل أن عندي من المال ما لا حاجة بي اليه • أما الطفلان وبوليا فلسوف أدخلهم الى ميتم حيث

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

تحسن معاملتهم ، وسأضع باسم كل منهم ألفا وخمسمائة روبل حتى يبلغوا سن الرشد وذلك لكي تطمئن صوفي سيميونوفنا . ثم انني سأتنشل هذه أيضا من الرغام لأنها فتاة باسلة ، أليس كذلك ؟ حسنا . يمكنك أن تحدث أفدونيا رومانوفنا بالشكل الذي تصرفت فيه بروبلاتها العشرة آلاف .

سأل راسكولنيكوف :

ـ ما هي نواياك التي تهدف اليها من وراء هذا الكرم ؟

فأجاب سفيدريكايلوف بضحكة صغيرة :

ـ اه ، اه ، يا لك من رجل حذر ! ألم أقل لك أن هذا الحال غير ذي نفع لي ؟ انك لا تتقبل أن أتصرف كرجل فحسب ؟ حسنا . ان هذه ـ وأشار الى الزاوية التي كانت كاترين ايفانوفنا مسجاة على السرير فيها ـ انها لم تكن « هواما » كما كانت ذات مرة عجوز مرابية . هيا قل لي هل من الافضل أن يكون « لوجين » حياً يرتكب آثامه أو تكون هي التي تموت ؟ ثم انني اذا أمسكت مساعدتي فان « بوليا مثلا ستكون مضطرة الى سلوك السبيل الذي سلكته أختها . »

نطق بهذه الكلمات بلهجة تشوبها السخرية دون أن يفارق راسكولنيكوف بعينيه. فشحب هذا وشعر ببرودة تكتسح جسمه وهو يصغي الى التعابير التي استعملها بنفسه في حديثه مع سونيا . تراجع فجأة وألقى على سفيدريكايلوف نظرة شرسة وغمغم بصوت مختنق :

ـ كيف ... تعرف هذا ...؟

ـ لكنني أقطن هنا في الجانب الآخر من هذا الجدار ، عند السيدة ريسليش ـ ان هذا هو مسكن كابيـ ناوموف ـ وهناك مسكن السيدة ريسليش وهي صديقة قديمة لي مخلصة كل الاخلاص . انني جار .

ـ أنت ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

استرسل سفيدريكايلوف ، وهو يتلوى من الضحك :

ـ آنا ، وأستطيع أن أؤكد لك يا عزيزي رروديون رومانوفيتش العزيز أنك اجتذبت اهتمامي بشكل مدهش . لقد قلت لك من قبل اننا سنتفاهم . لقد تنبأت لك بهذا . حسنا ، ها قد تفاهمنا . ألا ترى الآن أنه يمكن العيش معي ...

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

القسم الثالث

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

مضى على راسكولنيكوف حين من الزمن قضاه وكأن غمامة كثيفة حجبته وعزلته عن العالم، فعاش في وحدة ثقيلة لا خلاص منها • وعندما تذكر بعد زمن طويل هذه الفترة من الزمن أدرك أن احساساته كانت خامدة وأنه أمضى على ذلك الحال كل أيامه التي سبقت الفاجعة الاخيرة باستثناء اشراقات نادرة كانت تلمع في أفق فكره المظلم ، اقتنع تماما بأنه خلال تلك الفترة الزمنية أخطأ في كثير من الأمور وبصوره خاصة في تحديد تواريخ بعض الاحداث ومددها • وعلى ذلك فقد راح — وهو يتذكر فيما بعد أو يحاول تفسير ما كان يتذكره — يلجأ الى شهادات غريبة عنه ليتأكد من كثير من الوقائع المتعلقة بشخصه • فكان يخلط مثلا حادثا بآخر أو يعتبر واحدا نتيجة لآخر لا وجود له الا في مخيلته • وكان قلقه يستولي عليه أحيانا فيستسلم له حتى ينقلب ذلك القلق الى لون من الذعر القاتل • كذلك فقد تذكر أنه مرت عليه دقائق وساعات بل وأيام كاملة كان يقضيها غارقا في لون من الجمود والتبلد الشبيه بذلك النفور الكالح الذي يعتري كثيرا من المحتضرين ، ذلك الجمود الذي كان يحس به عقب مخاوفه الاولى • وعلى العموم فانه كان يتحاشى في — الأيام الاولى — التطلع الى حقيقة موقفه ، وكان عدد من الوقائع الشائعة في الحياة اليومية التي تتطلب معالجة سريعة تخلق في نفسه نوعا من الضيق والوساوس، لكنه كان يشعر بشيء من السرور عند اهماله بعض الاحتياطات التي كان اهمالها يستطيع أن يجر — وهو في ذلك المركز — نتائج سيئة جدا •••

كان سفيدريكايلوف يخيفه أكثر من أي كان • حتى يمكن القول ان انتباهه كله كان مركزا فيه • لقد تبدل سير أفكار راسكولنيكوف

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الطبيعي منذ ذلك اليوم الذي كرر فيه سفيدريكايلوف أقواله الواضحة ـ التي لم تشكل تهديدا كبيرا بالنسبة اليه ـ في حجرة سونيا أمام السرير الذي أسجيت عليه كاترين ايفانوفنا للمرة الأخيره. لقد أصبحت أفكاره بعد ذلك مضطربة مشوشة ، لكنه لم يحاول ايضاح القضية بسرعة رغم أن ذلك العنصر الجديد فيها كان يقلقه ويزعجه . كان احيانا يجد نفسه فجأة في مكان ما من ضاحية بعيدة ، جالسا الى مائدة في أعماق حانة حقيرة ، وحيدا غارقا في تأملاته لا يذكر كيف آل الامر به الى ذلك المكان . فكان يفكر فجأة بسفيدريكايلوف . كان يشعر عندئذ بجلاء ووضوح أنه ينبغي له أن يقابل هذا الرجل بأسرع ما يمكن وأن ينهي منه بالسرعة الممكنة . وذات مرة بينما كان ينزه وراء الحواجز بلغ به الخيال أن تصور أنه كان ينتظر سفيدريكايلوف بناء على موعد بينهما في ذلك المكان . ومرة أخرى استيقظ فجرا فوجد نفسه نائما على الارض وسط غابة صغيرة حار في معرفة كيفية بلوغه اليها ونومه فيها . وقد أتيحت له خلال الايام الثلاثة التي أعقبت موت كاترين ايفانوفنا أن يلتقي مرتين بسفيدريكايلوف . وكان ذلك في مسكن سونيا حيث كان يذهب الى هناك دون أي هدف أللهم الا قضاء لحظة خاطفة عندها . تبادل معه خلال تينك المقابلتين بضع كلمات وقد زهد كلاهما في التطرق الى بحث النقطة الجوهرية وكأن اتفاقا مضمرا كان يقوم بينهما يقضي بعدم بحث هذه المسألة الا في الوقت المناسب . وكان جثمان كاترين ايفانوفنا لا يزال في تابوته هناك ، وكان سفيدريكايلوف يصدر التعليمات المتعلقة بشؤون الدفن . وكانت سونيا شديدة المشاغل في ذلك الحين . وقد بين سفيدريكايلوف لراسكولنيكوف خلال المقابلة الثانية أن الترتيبات التي اتخذها بخصوص أطفال المتوفاة قد أثمرت بفضل بعض الاتصالات التي مهدت سبيل مقابلة بعض الشخصيات ، وهؤلاء استطاعوا ايواء الايتام الثلاثة في

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ملجأ مناسب جدا يساعدهم في ذلك المال الذي أودع باسمهم • لأنه تأكد أن كثيرا من الملاجىء المحترمه تقبل الاطفال الذين يملكون رؤوس أموال صغيرة بسهولة شديدة خلافا لأولئك الذين يحلون دون أي سند مادي • وتحدث عن سونيا حديثا خاطفا ووعد بالحضور ذات يوم الى مسكن راسكولنيكوف ملمحا الى أنه يرغب من صميم قلبه في استشارته وأن ينفق معه بالسرعة القصوى حول بعض المسائل ••• جرى ذلك الحديث في الردهة ، وكان سفيدريكايلوف يحدق في عيني راسكولنيكوف طيلة الوقت • وفجأة سأله وهو يخفت من صوته :

ـ لكن ماذا بك . يا رروديون رومانوفيتش ؟ انك تبدو انسانا آخر ••• حقيقة انك نصغي وتنظر ولكنه لا يبدو عليك أنك تفهم ما يقال لك ، هما ، ينبغي أن نتحدث معا ، غير أنني شديد الأسف لأنني جم المشاغل في الوقت الحاضر ، انها مشاغل الآخرين ومشاغلي معا •••

ثم أضاف فجأة :

ـ ان الرجال بحاجة الى الهواء ، يا رروديون رومانوفيتش ••• الهواء ، الهواء قبل كل شيء !••

ثم تنحى جانبا ليسمح للقس وتابعه بالمرور ، لأنهما على وشك ارتقاء السلم على جري عادتهما منذ وفاة كاترين ايفانوفنا • اذ كان سفيدريكايلوف قد رتب الامور بحيث يحضرا مرتين كل يوم للترتيل عن روحها بانتظام منذ وفاتها • ولم يلبث راسكولنيكوف بعد تفكير وانتظار أن سار يتبعهما الى غرفة سونيا •

لبث واقفا في فتحه الباب يراقب القداس الروحي الذي كان قد بدأ منذ حين بهدوء وتبجيل يوحيان بالحزن • كان راسكولنيكوف منذ نعومة أظفاره يشعر برعدة صوفية أمام ذكرى الموت والتفكير فيه• أضف الى ذلك أنه لم يحضر منذ أمد طويل أي احتفال ديني جنائزي • لكنه في هذه المرة أحس بتلك الرعدة ممزوجة بشعور من الارتباك

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

والاضطراب والذعر لم يحس بأشد منها وقعا من قبل ! كان الاطفال الثلاثة راكعين قرب التابوت ، وكانت بوليا تبكي ، بينما وقفت سونيا تصلي بصوت خافت وهي تحاول اخفاء دموعها • فكر راسكولنيكوف في نفسه : « انها لم تنظر الي مرة واحدة خلال هذه الايام الاخيرة ولم توجه الي كلمة واحدة » •

كانت الشمس تغمر الغرفة بضوء قوي ودخان المبخرة يرتفع متصاعدا الى السقف والقس يرتل صلاة جنائزية •• لبث راسكولنيكوف في مكانه حتى نهاية الترتيل • فلما انهى القس من مهمته وبارك الجثمان نظر حوله نظرة غريبة وانسحب • فاقترب راسكولنيكوف من سونيا • أمسكت هذه بيديه فجأة وأراحت رأسها على كتفه ، فكان لتلك الحركة الودية اللطيفة أثر عنيف في نفس راسكولنيكوف جعله يستغرق في أعماق الدهشة • كيف لا تشعر ازاءه بأي مقت ؟ ألا تحس بالفزع منه ؟ ان يديها ثابتتان لا ترتجفان ! لقد كان ذلك لونا من ألوان التفاني الشخصي ! أو أنه فسره على هذا النحو • لم تنبس سونيا بكلمة واحدة • فضغط راسكولنيكوف على يديها وخرج • كان يحس بارهاق فظيع وود لو استطاع الذهاب الى أي مكان وبأسرع ما يمكن ليجد نفسه في وحدة كاملة مدى الحياة • اذن لشعر بسرور وراحة • لأنه لم يكن يشعر مطلقا أنه وحيد حقا رغم أنه قضى وقته في الآونة الاخيرة دون أن يؤنس وحدته أحد • وكثيرا ما كان يبارح المدينة ويبلغ الطريق الخلوية ؛ بل انه توغل مرة في غابة • لكن تلك الأمكنة كانت رغم وحشتها وبعدها والوحدة التي تشملها تشعره شعورا قويا بوجود كئيب غامض يحس معه بشيء من الرعب يزعزع ثقته • فكان يبادر مسرعا الى العودة الى المدينة فيختلط بالجماهير ويدخل الحانات والمشارب أو يأوي الى الأسواق : « سوق البراغيث » أو « سوق العلف » ؛ فيشعر هناك براحة ويحس بالاستئناس • وذات مرة ؛ في

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

دكان شواء ، كانت الأغاني تتعالى ذات مساء فأمضى ساعة يصغي اليها وهو يحدث نفسه بأنه يشعر بسرور عظيم في الاصغاء ، غير أن اكتئابه سرعان ما عاوده : كان ذلك الاكتئاب لونا من تبكيت الضمير ينخر قلبه • فراح يفكر في نفسه قائلا : « انني هنا جالس أصغي الى الاغاني! لكن هل هذا هو حقيقة ما يجب علي صنعه ؟ ••• وسرعان ما أدرك أن سبب اكتئابه وانزعاجه كان وجوب الفراغ من قضيةما بأسرع ما يمكن• أما ما هي تلك القضية ؟ فذلك ما كان يحار في معرفته : لم يكن يستطيع التعبير عن تلك الفكرة ولا بكلمة • كان كل شيء يدور في رأسه مدويا متشابكا : « كلا ، من الخير لي أن أناضل ! من الخير أن أجابه بورفير ••• أو سفدريكايلوف • نعم ! نعم ! من الخير استقبال تحد جديد أو هجوم جديد » • وهرع يغادر دكان الشواء •

كان تفكيره بدونيا وبأمه يسبب له ألما • وفي تلك الليلة استيقظ عند الفجر في غباض جزيرة « كريستوفسكي » وهو يرتعد من الحمى، فنهض يسعى الى « حجره » حيث بلغه في الصباح الباكر جدا ، فنام بضع ساعات تخلص من الحمى بعدها• ولما استيقظ كانت الساعة الثانية بعد الظهر • تذكر أن تشييع جثمان كاترين ايفانوفنا سيكون في ذلك اليوم فاغتبط لأنه لم يساهم فيه • ولما أتت له ناستاسيا بطعامه ، أكل بشهية كبيرة بل بشره • فشعر ببعض الهدوء وبحرارة رأسه تنخفض ، وأدهشه أن يكون قد أمضى أيامه الثلاثة الاخيرة فريسه ذلك الذعر القاتل الذي لم يكن يحس به في تلك اللحظة • وفتح الباب ودخل رازوميخين •

قال رازوميخين ، وقد جلس على مقعد قباله راسكولنيكوف :

ــ هه ! انه يأكل ، واذن فهو غير مريض •

كان رازوميخين شديد الانفعال فاشلا في اخفاء انفعاله ، وكان

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

يتكلم بلهجة مفعمة بالسخط • لكن صوته كان منخفضا وكلماته بطيئة حتى ليقال انه كان يخفي نية معينة ذات طابع خاص •

استرسل بقوله بلهجة حازمة :

ـ اسمع • ليحملكم الشيطان جميعا • انني أرى الآن بوضوح تام أنني لا أفهم من أمركم شيئا ! أرجو ألا تعتقد بأنني جئت أطرح عليك أسئلة • انني لا أبالي بهذا بل انني أمتنع عنه بنفسي • لكنني جئت لهدف واحد وهو محاولة الاطلاع شخصيا وبشكل نهائي عما اذا كنت حقيقة مجنونا أم لا ؟ لأن هناك بعض الناس ـ ولا يهمك معرفتهم ـ يعتقدون بأنك مجنون حقا أو على الاقل بأنك على وشك الجنون • بل وأصرح لك بأنني كنت ميالا الى تأييد هذه النظرية بسبب سلوكك المضحك وتصرفاتك التي لا تخلو من بشاعة ولؤم لا يمكن تفسيرهما، وأخيرا بسبب تصرفك الاخير حيال أمك وأختك • اذ ينبغي أن يكون المرء وحشا أو نذلا ان لم يكن مجنونا حتى يتصرف حيالهما كما تصرفت • واذن فانك مجنون •••

ـ متى رأيتهما لآخر مرة ؟

ـ توا • وأنت ، ألم تعد لرؤيتهما ؟ هل أثرت من جديد ؟ قل لي أرجوك لان هذه هي المرة الثالثة التي أحضر فيها اليك • ان أمك مريضة منذ البارحة مرضا جديا • وقد أرادت أن تحضر لتراك رغم محاولات أفدونيا رومانوفنا التي حاولت ثنيها عن عزمها عبثا • كانت تقول : «اذا كان ولدي مريضا أو كان عقله مختلا فمن الذي يعنى به ان لم تكن أمه ؟ » وقد جئنا جميعا الى هنا لنتحاشى خروجها منفردة • وعملنا كل ما في وسعنا طيلة المدة التي استغرقناها في الطريق على تهدئة خاطرها • فدخلنا واذا بغرفتك خالية • وقد جلست أمك هنا تماما ولبثت عشر دقائق ونحن واقفان بجانبها صامتين • وبعدئذ نهضت وقالت : «طالما

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أنه ليس في غرفته فان ذلك معناه أنه ليس مريضا بل أنه نسي أمه • وعليه فانه من غير اللائق بل ومن المخجل بالنسبة الي أن أبقى على عتبة بابه أستجدي ملاطفاته وكأنها احسان••• » وعادت الى غرفتها واستلقت على السرير • وهي الان تشكو من الحمى • انها تقول : « انني أرى بوضوح أنه يجد من الوقت ما يكرسه لصحبة صديقته » • انها تعتبر أن صوفي سميونوفنا خطيبتك أو عشيقتك أو لست أدري ماذا• فذهبت الى دار صوفي سميونوفنا لأنني أردت يا عزيزي أن أريح ضميري ، ولكن ماذا وجدت ؟ وجدت تابوتا وأطفالا يبكون حوله • بينما صوفي سيمبونوفنا تلبسهم ثياب الحداد ! ولم تكن أنت هناك فألقيت نظرة واعتذرت وخرجت لهوري قاصدا مسكن أفدونيا رومانوفنا حيث نقلت لها مشاهداتي • وهنا قام افتراض غريب عجيب وهو أنك لا تكرس الوقت لخطيبة أو عشيقة ، واذن فانك مجنون • لكنني أراك الان تفتك بلحم البقر المسلوق وكأنك لم تأكل منذ يومين • صحيح أن المجانين أنفسهم يأكلون • ولكن على الرغم من أنك لم تتفوه بعد بكلمة ، فانني واثق بأنك لست مجنونا ، بل وانني على استعداد لوضع يدي في النار اذا ثبت عكس ذلك • وعلى هذا فانني أبعث بكم جميعا الى الشيطان لأن في الأمر سرا لا أفهمه ، ولست على استعداد لتحطيم رأسي بأسراركم •

وصمت برهة ثم أردف :

ـ لقد جئت لأتشاجر معك ليس أكثر ، لأن ذلك يريحني ويخفف ما في نفسي • والان فانني أعرف ما يجب أن أعمل •

ـ ماذا تريد أن تعمل ؟

ـ وهل يعنيك ذلك ؟

ـ انتبه ••• انك تريد أن تثمل ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ كيف ... كيف خمنت ؟

ـ هل في ذلك شيء من الذكاء ؟

لبث رازوميخين فترة واقفا صامتا وفجأة انفجر قائلا :

ـ لقد أثبت دائما ذكاءك المتوقد . انك لم تكن مجنونا أبدا . نعم . أريد ! أن أثمل . الوداع !

وتقدم خطوة نحو الباب .

قال راسكولنيكوف :

ـ لقد حدثت أختي عنك أول أمس ، يا رازوميخين !

توقف رازوميخين وقد شحب وجهه قليلا ، وسأل :

ـ عني ؟

كان واضحا أن وجيب قلبه أضحى قويا في صدره !

ـ لقد جاء نـالي وحدي وجلست على هذا المقعد وتحدثت معي .

ـ هي ؟؟

ـ نعم هي .

ـ ماذا قلت لها ؟... أقصد ماذا قلت لها عني ؟

ـ قلت لها انك غلام ممتاز نبيل ودؤوب ، ولم أقل لها انك تحبها لأنها تعرف ذلك .

ـ تعرف ؟

ـ يا للسؤال ! أينما مضيت ومهما حصل ينبغي أن تبقى ساعدهما وحاميهما . انني أودعك اياها ، يا رازوميخين . وأقول لك ذلك لأنني عارف بمدى حبك لها ، واثق من نقاء عواطفك ونبلها . ثم انني واثق من أنها تستطيع محبتك ان لم تكن قد أحببتك . والان ، لـك أن تقرر اذا كان من الخير أن تذهب لتثمل .

ـ روديا ، ألا ترى ... حسنا ... آه .. يا للشيطان ... وأنت الى أين تمضي ؟ انتبه . اذا كان كل ذلك سرا فليكن ! لكن .. لسوف

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أعرف هذا السر أخيرا .. أنا واثق من أن الامر متعلق باحدى الحماقات أيضا ، بلون من الهذر المريع . ثم انك أحسن الناس ، أحسنهم !

ـ أردت أن أضيف شيئا الى قولي ولكنك قاطعتني . وذلك الشيء الذي أردت اضافته هو : لقد كنت على صواب منذ حين حينما قلت بأنك لن تحاول معرفة تلك المعميات والاسرار . دعها في الوقت الحاضر واهدأ . لسوف يكتشف كل شيء في حينه . لقد قال لي أحدهم البارحة ان الانسان يلزمه هواء ، هواء ! وانني ذاهب اليه لأسأله عما يقصد بتلك الكلمة !

كان رازوميخين يلقيها يفكر ، وقد انطبعت تقاطيع وجهه بسحنة من الكآبة وبدا كأنه يقدر أمرا .

حدث نفسه قائلا : « انها مؤامرة سياسية ولا شك ! وهو على وشك القيام [illegible] نعم انه لكذلك ! لا يمكن أن يكون غير ذلك ... ولا شك أن دونيا تعرف ذلك » .

أضاف بصوت مرتفع ، وهو يهز كلماته :

ـ اذن ، ان دونيا تأتي البك وتريد أنت أن ترى الرجل الذي تحدث عن مزيد من الهواء و ... على ذلك فان تلك الرسالة ... انها من ذلك الرجل .

كان في صوته شيء من الشراسة . فسأل راسكولنيكوف :

ـ أية رسالة ؟

ـ لقد تلقت اليوم رسالة أزعجتها كل الازعاج بل انها أفزعتها . فألمحت اليك ، لكنها رجتني ألا أحدثك بشيء ، ثم ... ثم قالت اننا قد نفترق زمنا طويلا ، وراحت تشكرني بحرارة ثم انسحبت الى غرفتها وحبست نفسها فيها .

سأل راسكولنيكوف بلهجة حالمة :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لقد تلقت رسالة ؟

ـ نعم ! رسالة . هل كنت تجهل ذلك ؟ نعم ؟

صمت كلاهما .

ـ وداعا ، يا روديون . ألا ترى ، يا عزيزي ... أنه خلال زمن ما ... على كل حال . الوداع ! لقد مضى زمن ... هيا الوداع ! علي أن أذهب ، أنا الاخر . لن أشرب . اذ ما فائدة ذلك الان ؟...

وانسحب مسرعا لكنه ما كاد يتوارى وراء الباب ويغلقه حتى عاد وفتحه فجأة وقال ، وهو يلقي نظرة مختلسة جانبية :

ـ على فكرة ، أتذكر تلك الجريمة ، تلك التي كان لها علاقة ببورفير ، مقتل العجوز ؟ اذن اعلم أن القاتل قد عرف ! ولقد اعترف مقدما بكل الأدلة . تصور أنه واحد من ذينك العاملين الدهانين . وأنا ـ ولعلك تذكر ـ نصبت من نفسي حاميا لهما ! هل تصدق أن ذلك المشهد ، مشهد الشجار مع صديقه وضحكاتهما وقهقهاتهما على السلم عندما كان الاخرون يصعدون وأقصد البواب والشاهدين ، حسنا لقد وضع كل ذلك بنفسه لسبب واحد وهو ايجاد دليل نفي . يا له من سفاك خبيث حاضر الذهن ! ان المرء ليصعب عليه تصديق ذلك لكنه هو الذي قدم كل تلك الاعترافات بصدق ، تدعمه الأدلة ! لقد كنت بنفسي مخدوعا ! في رأيي أن ذلك ليس الا عبقرية التمويه والتفكه . انها عبقرية ايجاد دليل النفي . على ذلك فليس في الأمر ما يدهش أكثر من الدهشة العادية ! اذ هل يصعب وجود مخلوقات عبقرية مماثلة على الارض ؟ انما يدهشني ألا يستطيع الاستمرار في تمثيل دوره حتى النهاية . ان ذلك يدهشني . بل ان الامر أقرب الى المعقول ! مع ذلك فقد خدعت ورحت أدافع عنهما بحماسة عنيفة .

سأل راسكولنيكوف بادي الانفعال :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ قل لي أرجوك كيف اطلعت على هذا ؟ ولم يثير في نفسك مثل هذا الاهتمام ؟

ـ آه ! لم يثير هذا اهتمامي ؟ يا للسؤال ! لقد أطلعني بورفير على ذلك بنفسه كما أطلعني على أشياء أخرى .

ـ بورفير ؟

ـ نعم !

سأل راسكولنيكوف مذعورا :

ـ ماذا قال لك اذن ... ماذا قال ...؟

ـ لقد فسر لي الامر بأسلوب ممتاز . لقد فسره نفسانيا على طريقته !

ـ لقد فسره لك ؟ أهو نفسه الذي فسره لك ؟

ـ هو نفسه ، هو نفسه . الوداع ! لسوف أقص عليك أمرا آخر في المستقبل . أما الان فانني على عجلة من أمري . هناك ... مرت فترة فكرت فيها ... لكن ماذا . سأقص عليك في المستقبل ... لِمَ سأثمل الان . لكنك أسكرتني دون كحول . لأنني ثمل ، يا روديا . ثمل دون أن أكون قد شربت . الوداع . سوف لا أتأخر في العودة .

وخرج .

وبينما كان رازوميخين يهبط السلم ببطء راح يقول في نفسه : « ان هذه ليست الا مؤامرة سياسية ولا شك . وبكل تأكيد ! لقد استطاع أن يدمج أخته فيها والأمر على غايه من السهولة بسبب عقلية أفدونيا . انهم على مواعيد ... ألم تلمح لي بذلك ؟... ان كل تلك الكلمات الصغيرة ... تلك التنويهات ... ذلك التلميح ... تثبت كلها هذا الرأي ! والا فكيف يمكن تفسير كل هذا الغموض ؟ هم ! وأنا الذي فكرت ... رباه ! ما هذا الذي حشرت رأسي به ؟ نعم لقد أسأت اليه

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

في سري ! بل انه أوحى الي بذلك لما كنت قرب المصباح ذلك المساء . بواه ! يا للفكرة القبيحة الدنيئة التي خطرت لي ! ان اعترافات نيكولا جاءت في حينها . والآن أصبح كل ما وقع قبلها واضحا : فالمرض الذي عانى منه وتصرفاته الغريبة العجيبة حتى ما سبق منها هذه الفترة ، بل ومنذ أن كان في الجامعة ، وعقليته وصحته وكآبته ... لكن ما معنى هذه الرسالة الآن ؟ هل هناك شيء وراءها ؟ من أين أتت تلك الرسالة ؟ انني أشك ... هم ! سوف أعرف نهاية هذه القضية » .

راحت أفكاره وذكرياته تتجه نحو دونيا ، فأثلج صدره وأحس بالذهول ، غير أنه سرعان ما انتزع نفسه منه وتابع السير .

لم يكد راروميخين يخرج من الغرفة حتى نهض راسكولنيكوف واقترب من النافذة وراح يسير من زاوية غرفته الى الاخرى وكأنه نسي الأبعاد التي بينها ، ثم عاد فجلس على الأريكة . بدا مخلوقا جديدا ، لأن رغبة النضال قد عادت اليه لذلك فقد اكتشف مخرجا جديدا !

« نعم . هذا أخيرا مخرج ! » لقد كان شديد الضيق ، ملتصقا بالجدار ، يختنق حتى ليخيل للناظر اليه أن شيئا يجثم على صدره منذ الحادثة الأخيرة : حادثة نيكولا عند بورفير . وفي اليوم الثاني كانت حادثة أخرى تنتظره عند سونيا . حادثة لم يجل بعد غوامضها ... لقد كان ضعيفا جدا حتى أنه اعترف بكل شيء ، فانهار دفعة واحدة الى لا قيام ، لأنه اعترف أخيرا أمام سونيا ؛ اعترف من صميم قلبه ؛ بأنه لن يستطيع الاستمرار على الحياة وهو يحمل وحده مثل ذلك العبء ! وسفيدريكايلوف ؟ لقد كان سفيدريكايلوف لغزا ... كان سفيدريكايلوف يزعجه حقا ولكن على شكل آخر مختلف تماما . بل لعله كان مرغما على النضال ضد سفيدريكايلوف هذا ، ولعل هذا سيكون له مخرجا آخر . أما بورفير فان أمره يختلف .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كان راسكولنيكوف خلال الأيام الأخيرة قد تصور باستمرار المشهد الذي كان له مع بورفير ، غير أنه ما كان يستطيع احتمال تلك التفاصيل كلها لو أنها عرضت في خياله دفعة واحدة • راح يحدث نفسه :

ــ وعلى ذلك اذن فان بورفير نفسه هو الذي فسر كل شيء لرازوميخين وفسره له على الطريقة النفسانية ! دائما تلك الطريقة اللعينة! لكن هو ، بورفير ؟ كيف فسّر الامر حتى آمن دقيقه واحدة بنجريم نيكولا ؟ ليس هنالك الا تفسير واحد : لقد قيلت بعض كلمات أشفعت بعدد من الحركات ، ووقعت تصرفات وتبودلت نظرات خاصة ، وتحدثا فترة بلهجة معينة• وادن فان نيكولا ليس هو الذي يجعل بورفير يبدل من قناعته ، خصوصا وأن بورفير فضح ذلك منذ كلمات نيكولا الاولى •

« أرأيت ! لقد بدأ رازوميخين نفسه يشك في الأمر ، واذن فان الموقف الذي وقع لي معه قرب المصباح ذلك المساء لم يغب عن نظره تماما ! فهل مضى عقب ذلك الى بورفير ؟ لكن لِمَ سخر منه هذا الأخير على هذا الشكل ؟ ماذا كان هدفه حينما وجه ظنون رازوميخين ضد نيكولا ؟ لا شك أن لديه فكرة ما • لكن ما هي تلك الفكرة ؟ منذ ذلك الصباح وبورفير لم يحرك ساكنا رغم مرور كل هذا الوقت • ان هذا ليس فأل خير ••• »

أخذ راسكولنيكوف قبعته بعد تفكير قصير وغادر الغرفة • كانت هذه أول مرة منذ أيام شعر خلالها بأنه يتمتع بوعيه الفكري كاملا • فكر في نفسه : « ينبغي أن أنتهي من سفيدريكايلوف مهما كلف الامر وبأسرع ما يمكن • انه على ما أعتقد ينتظر كذلك أن أذهب اليه من تلقاء نفسي » • كان يشعر في تلك اللحظة بحقد مرير وكره شديد يدميان قلبه حتى أنه كان على استعداد لو أتيح له أن يضل واحدا من اثنين ، سفيدريكايلوف أو بورفير • بل انه كان يحس بأنه اذا لم يفعل

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ذلك الآن فانه لا شك فاعله في المستقبل لأنه مـا فتىء يردد : « لسوف نرى ، لسوف نرى » .

لكنه لم يكد يفتح باب الممشى حتى اصطدم ببورفير . كان هذا على ما يبدو آتيا لزيارته فاستولى على راسكو لنيكوف ذهول عـارض لم يدم أكثرُ من ثانية . والغريب أنه لم يشعر بمزيـد من الدهشة لرؤيـة بورفير. بل ولم يشعر أيضا بشيء من الفزع ! صحيح أن قشعريرة مرت في جسمه لكنها سرعان ما تبخرت وعاد اليه ثباته واتزانـه . تساءل : أهي الخاتمة ؟ لكن لِمَ كان يقترب بخطى خفيفـة متلصصة كالقط فلم أسمع لخطواته وقعا ؟ أكان يسترق السمع وراء الباب ؟

هتف بورفير بيتروفيتش مازحا :

ـ ألم تكن تنتظر زيارتي ، يا رروديون رومانوفيتش ؟ لقد كنت أعتزم زيارتك منذ أمد ! ولما كنت مارا بالقرب من هنا فقـد قلت لنفسي : لِمَ لا أصعد اليه لخمس دقائق ، مجرد زيارة صغيرة ، هل كنت على وشك الخروج ؟ انني لن أؤخرك . اقبل مني هذه السيجارة .

قال راسكولنيكوف ، وهـو يقدم مقعدا للزائر ويستقبـله ببشاشة وهدوء حتى أنه دهش بنفسه من تصرفاته :

ـ لكن اجلس ، يا بورفير بيتروفيتش . اجلس .

كانت مشاعره السابقة قد اختفت كلها دون أن يبقى أي ظل ! وهكذا فان الانسان أحيانا يلبث نصف ساعة كاملة فريسة رعب قاتل يوحيـه اليه التفكير بأحـد اللصوص . لكنه حالما يشعر بالسكين عـلى عنقه تتبخر كل مخاوفه . وهكذا جلس راسكولنيكوف قبالة بورفير وراح ينظر اليه دون ان يرمش بعينيه . فغمز بورفير بعينيه على عادته وأشعل سيجارته ببطء .

ود راسكو لنكوف من أعمـاق نفسه لو صاح : حسنا تحـدث تحدث . لِمَ اذن ، لِمَ أنت صامت لا تتحدث » .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

٢

قال بورفير بعد أن أشعل سيجارته وأطلق من فمه سحابة من الدخان:

ــ اه ! هذه السجائر ! انهـا سم ، سم حقيقي لا سبيل الى الخلاص منه ! انني أسعل منها وأشعر بضيق في حنجرتي أكاد أختنق منه . لقد أقلقني ذلـك ، وزاد في خـوفي ، حتى أنني ذهبت أستشير الطبيب « ب ... » ، انه يفحص كل مريض طيلة نصف ساعة كامـلة في الحد الادنى . فلما رآني للوهلـة الاولى راح يستهزىء بي وهـو يفحصني ويقرع بيده على جسمي . وأخيرا قال : « ان التبغ بين عدد آخر مـن الاشياء يَضِرُ بك . وانني أرى تضخما في رئتيـك » نعم . ولكن كيف أعمل على الخلاص منه ؟ بأي شيء أستعيض عنه ؟ انني لا أشرب وهنا البلاء ! هه هه هه ، مصيبه حقيقيـة أن أكون لا أشرب ! ان لكل شيء علاقة بالآخر ، ألا ترى ذلك ، يا روديون ، رومانوفيتش !

فكر راسكو لنيكوف وهو يشعر بنفور : « هل يزمـع العودة الى مخاتلاته الكريهة ؟ »

عادت به الذاكرة الى المواقف التي جرت له معه خـلال مقابلتهما الأخيرة ، وشعر بالغضب الذي أحس به آنذاك يعصف من جديد بقلبه .

أردف بورفير ، وهو يلقي حوله نظرة شاملة :

ــ لقد أتيت الى غرفتك أول أمس مساء ، ألم تكن تعرف ذلك ؟ نعم لقد جئت الى حجرتك ، هنا بالذات . كنت أراني مارا بالقرب من منزلك فقلت لنفسي : « ماذا لو صعدت اليه أعيد اليه زيـارته الصغيرة ؟ » فصعدت واذا بالباب مفتوح على مصراعيه . فألقيت نظرة وانتظرت دون

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أن أترك اسمي لدى الخادم . ألا تغلق بابك بالمفتاح ؟

راح وجه راسكو لنيكوف يزداد عبوسا . حتى أن بورفير أدرك ما يدور في خاطره . فأردف وعلى شفته ابتسامة خفيفة :

ـ لقد جئت أعتذر ، يا عزيزي روديون رومانوفيتش . أعتذر ! انني مدين لك باعتذارات وأريد أن أقدمها اليك .

وضرب على ركبة راسكولنيكوف بحركة ودية وقد علت وجهه مسحة من الكآبة وانشغال الخاطر . فلمس راسكولنيكوف فيها لونا من الحزن دهش له، لأنه لم يسبق له أن رأى على وجهه مثل ذلك التعبير من قبل . كان يشك في أن يستطيع قاضي التحقيق تصنع ذلك المظهر . قال :

ـ لقد وقع بيننا حادث غريب ، يا روديون رومانوفيتش ولم يخل لقاؤنا الاول من مواقف غريبة أيضا لكن ... ما وقع قد وقع ! انني أشعر بأنك تعتبرني مذنبا . لا شك أنك تذكر كيف افترقنا لآخر مرة ، فقد كانت أعصابك مرهقة تماما وساقاك لا تحتملانك . أما أعصابي فكانت كذلك متوترة وساقاي متخاذلتين. بل انني أعترف بأن الاسلوب الذي سارت عليه مقابلاتنا كانت تنقصه السمة الودية ، ومع ذلك فاننا أشخاص مذنبون ، ولا ينبغي أن ننسى ذلك . تذكر مع ذلك المدى الذي بلغته الأمور فتجد أنه كان غريبا مهينا .

تساءل راسكولنيكوف مذهولا ، وهو ينظر في عيني بورفير بجرأة « ماذا يقصد ؟... من يعتقدني ؟ »

تابع بورفير بيتروفيتش وهو يدير رأسه جانبا ويخفض عينيه وكأنه يخجل من ارباك ضحيته السابقة بنظراته أو كأنه عازف عن اللجوء الى وسائله وشراكه المعتادة :

ـ أعتقد أن من الأنسب لكلينا أن نعمل بصراحة . كلا ان افتراضات

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ومواقف من ذلك النوع لا ينبغي أن تظل أبدا • لقد جاء نيكولا في المرة الأخيره فوضع حدا لما كان بيننا • ولولاه لست أدري الى أي مدى كانت بلغت الأمور • لقد كان ذلك الصانع الملعون مصغيا وراء الباب ، هل تتصور ذلك ؟ انك لا تجهل هذه المسألة ولا شك • انني أعرف أنه جاء البك حال خروجه من عندي•غير أن الشكوك التي ساورت مخيلتك كانت صحيحة لأنني لم أرسل أي انسان للتحقق من أي أمر كان • ولعلك تسألني لِمَ لم أعمل ذلك فأجيبك بأن تلك الأقوال قلبت آرائي رأسا على عقب•بل انني لم أهتم بالبوابين ــ ولقد شاهدتهما بنفسك ــ الا اهتماما يسيرا • ومن ذلك فقد كنت أرى يا روديون رومانوفيتش أن قراري قد اتخذ ، وكنت أعتقد بأنني اذا أخطأت أمرا ما فانني قمين بالعثور على آخر مكانه ، وانني لن أفلت ما أقبض عليه • انك يا روديون رومانوفيتش ذو طبيعة سريعه التأثر ، سريعة الغضب ، بل انك متأثر بهذه الطبيعة أكثر من الحد المعقول الى جانب الشواذ الاخرى التي تكون عقليتك وعواطفك التي أجرؤ على القول بأنني عرفت قسما منها • ولا شك أنني حتى تلك اللحظة ما كنت أعتقد أن بالامكان ايجاد شخص يحدثني بكل ما في نفسه بمحض رضاه واختياره • رغم أن مثل ذلك يحدث عادة اذا كان الشخص قد أنهك ا باستثناء حالات نادرة جدا • لذلك فقد وضعت هذه النظرية نصب عيني ، وكنت أحدث نفسي قائلا : انني أكتفي بدليل صغير واحد مهما بلغت تفاهته ، دليل أطبق عليه يدي شريطة أن يكون شيئا ايجابيا ملموسا ، لا علاقة له بالاوضاع النفسانية : لأنني كنت أحسب أن الرجل اذا كان مجرما فمن المنطق أن أنتظر منه شيئا ما ايجابيا وملموسا • بل ولي أن أنتظر أكثر النتائج غرابة ومفاجأة • وعلى هذا فقد كنت أعتمد على عقليتك ، يا روديون رومانوفيتش ، نعم كنت أبني على عقليتك آمالا جسيمة •

غمغم راسكولنيكوف بسؤال لم يكن يتعمد القاءه :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لكن أنت ... لِمَ تسرد لي الآن كل هذا الاسلوب ؟

وراح يتساءل في سره وقد تاه في عديد من الافتراضات : « مـاذا يريد أن يقول ؟ هل يمكن أن يعتبرني بريئا حقا ؟ »

ـ لماذا أتكلم على هذا الشكل ؟ انني جئت لأعتذر ، بل لأوضح مـا أعتبره نوعا من الواجب المقدس . لقد سردت لـك كل هذا من الألف وحتى الياء ، كل قصة ... منازعتنا الأخيرة كما وقعت . لقد أخضعتك لتجارب قاسية يا روديون رومانوفيتش ، لكنني رغم هذا لست وحشا . انني أعرف كم كان ذلك قاسيا صعب الاحتمـال بالنسبة لرجـل تبهظه الحياة ويحرقه الاعتداد ، رجـل متسلط نافـد الصبر ، نعم ! خصوصا نافد الصبر ! انني أعتبرك على كل حال رجلا ذا قلب يميـل بشدة الى العظمة النفسية رغم أنني لست مطلعا على كل ظروفك ـ وأجد أن من واجبي أن أبين لك هذا فجأة وبكل صراحة لأنني أريد أن لا أخدعك ـ أجد أن عرفك شعرت بميل نحوك . لعلك تضحك من قولي . ان من حقك أن تضحك . انني أعرف أنك منذ النظره الاولى لم تحلني في قلبك . رغم أنه لم يكن في الامر شيء بعد، لكن ـ ولك أن تعتبر هذا كما يحلو لك ـ أريد بكل الوسائل أن أعرف الشعور الذي أحدثتـه في نفسك لأثبت لك بأنني ـ رغم كل هذا ـ رجل ذو وجدان وقلب ، انني أحدثك بكل صراحة .

اتخذ بورفير بيتروفيتش مظهرا وقورا فشعر راسكولنيكوف بموجة جديدة من الذعر لأن الفكرة التي نبتت في رأس بورفير الذي بات يعتبره بريئا أخافته وأزعجته .

تابع بورفير مسترسلا :

ـ أعتقد أنه لا مجال لاطلاعك كيف وقع كل هذا من ألفه الى يائـه، بل انني أظن مثل هذا الشرح عديم الجدوى ، وأظن أنني لا أجد وسلة

CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

للتعبير عنه بوضوح • اذ كيف يمكن تفسير كل ذلك بشكل توضح فيه الظروف والملابسات ؟ لقد راجت شائعات في البدابه • لكن من أي نوع كانت تلك الشائعات ؟ ومن أين جاءت ؟ وكيف بدأت ؟••• ولأي سبب التصقت بك ؟ انني أعتقد أن البحث فيها غير مرغوب فيه • أمـــا أنا شخصيا ، فان ما جذب انتباهي كان الصدفة ، والصدفـــة البحتة ، التي كان يمكن كذلك ألا تقع • والآن ما هي هذه الصدفه ؟ هم ! أعتقد أن من الأنسب أن أصمت عن هذا الموضوع أيضا ! كانت تلـك الشائعات وتلك الصدفة موضوع البحث تتلاقى عندي في فكرة واحدة ! انني أعترف بصراحة ــ لأنه منذ أن بدأ المرء يكشف الستر عن خطاياه عليه أن يعترف بها جميعها ــ أنني كنت البادىء في مهاجمتك • لأن مـــا دونته العجوز على الاشياء المرهونة لديها وكل ما تبع القصة لم يكن الا حماقات مماثلة• لقد أتيحت لي الفرصة فعرفت حادث فسم الشرطة الذي وقع لك ، وكانت الصدفة أيضا هي التي مهدت لي سبيل معرفة تفاصيل ذلك الحادث • ولم تكن تلك الاقوال قد بلغتني بشكل عرضي ، ولكن نقلها الى شاهد عيان احتفظ بذلك المشهد في نفسه بشكل بارز • فكان هذا بمثابه القلنسوة البضاء ، نعم القلنسوة البيضاء يا عزيزي روديون رومانوفيتش ! اذ كيف يجوز أن لا يلتفت قاضي التحقيق الى جهة ما ؟ وهناك مثل انجليزي يقول : أن مائه آرنب لا تعادل حصانا ، ومائه شك لا تشكل أدلة ! لعمري انها الحكمةمجسدة• لكن ما العمل مع الرغبات• حاول ان استطعت أن تقاوم الرغبات ! وقاضي التحقيق ليس الا رجلا ! ولما تذكرت المقال الذي نشرته في تلك المجلة ، أعتقد أنك تذكره انه ذلك الذي حدثتني بتفاصيـــله في المقابـــله الاولى ــ رحت أسخر منك في البداية ، ولكنه أسلوب لاحراجك وسوقك الى اعترافات أوسع • وأنت يا روديون رومانوفيتش ــ وأكرر القول ــ نافد الصبر سريع الغضب ثم انك الى جانب ذلك مخاطر مندفع جدي ، ولقد تأثرت تأثرا شديـــدا

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الأمر الذي كنت أشك فيه منذ زمن بعيد . انني أعرف هذا اللون من الاحساسات . فلما قرأت مقالك خيل الي أنني أعرفه من قبل . لقد كتبته ولا شك خلال ليال طويلة من الأرق والحمى ، كان قلبك خلالها مفعما مضطربا عنيف الضربات ، كنت فريسة حماس واندفاع لا سبيل الى توقيفهما . ان ذلك الكبت خطير ، وحماس الشاب يدفع به دائما الى أخطر المواقف ! لقد هزأت بك في حينه لكنني أستطيع أن أجزم لك الآن بأنني أحب حبا عمقا ــ بصفتي من الهواة ــ تلك المحاولة الصاخبة العنيفة التي جرت بها ريشتك . ان مقالك غامض قاتم ولا شك ، غير أن وترا حساسا لايني يهتز في تلك الظلمة انه مقال غريب خيالي ، لكنه لا يخلو من الاخلاص ، يشعر المرء فيه بلون من الكبرياء الخالصة والجرأة البائسة ، جرأة عقل ينظر الى الحياة بمنظار أسود . انه مقال جدي . ولقد قرأته وحفظته وقلت في نفسي: «ان رجلا كهذا لا يقف عند حد» . والان قل لي كيف كنت أستطيع كبح جماح نفسي عن الاندفاع وراء التفاؤل بعد تلك البوادر كلها ! آه ربباه ! هل أقول شيئا ؟ هل أقرر شيئا في هذه اللحظة ؟ كلا انني بصدد ابداء ملاحظة فقط . ماذا كان في الأمر ؟ انني لا أتساءل ، لا شيء ! لم يكن هناك شيء . بل ويمكن أن أقول بأنه لم يكن هناك شيء على الاطلاق ! وعلى ذلك، فانه ليزعجني أن أكون قد سلكت ذلك السبيل . وها أنذا الان أحمل نيكولا على ذراعي الى جانب بعض الأدلة . وسواء شئت أم لم تشأ فانها أدلة قوية كافية !... لقد اضطررت مرة جديدة الى اللجوء الى أسلوبي البسيكولوجي وقلت لنفسي : انه يجب أن أعنى به تماما لأن المسألة مسألة حياة أو موت ! أما لم أفسر لك كل هذا ؟ فلأنني أريدك أن تعلم كل شيء لكي لا تحكم علي في صميم نفسك ووجدانك استنادا الى المعاملة القاسية التي عاملتك بها ذلك اليوم . ان الأمر لم يكن عن خبث وأؤكد لك بكل اخلاص ، هه ! هه ! لعلك تتساءل لِمَ لم أرسل من

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

يتحرى منزلك في ذلك الحين ؟ لكنني جئت لما كنت مريضا ملازما فراشك هنا • صحيح أنني لم أحضر رسميا أو بصفتي الرسمية ، لكنني جئت على كل حال • لكن فتشت مسكنك تفتيشا دقيقا وبحثت في كل المخابىء الخفية التي فيه • لقد أجريت هذا التفتيش منذ الشكوك الاولى ، لكن كان عبثا • كنت أقول لنفسي : « سوف يأتي هذا الرجل ، لسوف يأتي بنفسه بعد زمن قصير • ان أيا كان غيره ما كان ليحضر ، أما هذا فانه سيأتي اذا كان مجرما » • هل تتذكر كيف عنفك رازوميخين بقسوة عند ابلالك ؟ لقد كنا قد سوينا الأمر لنلقي بك في الارتباك ، خدعنا رازوميخين فأقنعناه بلزوم توبيخك وتعنيفك • ورازوميخين ــ كما تعلم ــ واحد من أولئك الرجال الذين لا يستطيعون كبت انفعالهم وسخطهم • أما السيد زاميوتوف ، فان غضبك وجرأتك غير المحدودة ، وهي التي أثرت فيه ، راح يتساءل : كيف يمكن الصراخ في حانة عامة : « لقد قتلت ! » ؟ هل هي المفاجأة ؟ انها أكثر من ذلك• انها شجاعة مجنونة • وقلت في نفسي : اذا كان هذا الرجل مجرما فانه ولا شك ماجن رهيب • لقد انتظرت على هذا الاساس ــ كنت أنتظرك بعد أن أخمدت قوى زاميوتوف المسكين • وهنا ــ كما ترى ــ ليس الخطأ الا خطأ البسيكولوجية ذات النتائج المزدوجة ! لكنني انتظرتك، فأرسلك الله فجأة ! لبتك تعلم كم اشتدت ضربات قلبي ! لعمري ماذا دعاك الى الحضور في ذلك اليوم ، وتلك الضحكة ، تلك الضحكة التي دخلت بها مسكني ! هل تذكرها ؟ لقد كان كل هذا بالنسبة الي صافيا واضحا كماء الصخور ! ولو أنني ما كنت أنتظرك لذلك السبب الذي كونته لنفسي ، لما كانت ضحكتك ذات معنى خاص في نفسي • كان ذلك الموقف من جانبي نتيجة للاستعداد العقلي الخاص الذي كنت هيأته عنك • ثم السيد رازوميخين حينذاك ! آه ! والحجر ، ــ ألا تذكره ــ الحجر الذي أخفيت الاشياء تحته ؟ ••• يبدو لي انني أراها في مكان

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ما ، في بستان آخضر ! لقد قلت ذلك لزاميوتوف وكررته عندي، أليس كذلك ؟ ثم لما رحنا نناقش مقالك ، فرحت تحاول ايجازه وعرضه وتلخيصه ... ان كل كلمة من كلماتك كانت تحتمل معنيين يمكن ان تؤخذ بهما ، وكان وراء كل واحده منها شيء مستتر ! حسنا ، هذا هو موجز الأمور التي جعلتني أتصرف كما شهدت ، والتي لولا أن اصطدم رأسي صدمة قويه لما تماسكت وتمالكت نفسي !

كنت أقول لنفسي : « هيا ... الى أين أمضي على هذه الوتيرة؟ لو شئت ، أو على الأصح لو أنصفت ، لكان لكل هذه التفاسير معنى عكسي اخر ، بل انها قد تبدو أكثر تصديقا واحتمالا . نعم، انني أعترف بأنها ــ لولا فكرتي المسبقة ــ كانت تبدو أكثر حقيقة واحتمالا . ليتك عرفت المجهود الذي بذلته . كنت أقول : ان دليلا واحدا ، دليلا صغيرا واحدا ، يكفيني ! » فلما سمعت فصة الجرس ، كاد أن يعمى علي ! شعرت برعدة تسري في جسدي وقلت لنفسي : ها هو ذا الدليل الصغير أخيرا ! كنت مؤمنا بذلك تلك المرة ! فلم أفكر في تلك اللحظة ، بل انني لم أحاول التفكير . كنت في تلك الاثناء مستعدا لدفع ألف روبل لأراك بعيني هاتين تمشي تلك المائة خطوه جنبا الى جنب مع ذلك الصانع « الغراء » الذي وصفك بالقاتل دون أن تجرأ خلال تلك الخطوات المائة على سؤاله أو الاحتجاج بكلمة !... ثم تلك القشعريرة الفجائية التي اعترتك ؟ وقصة الجرس ، هل جذبته بفعل المرض والهذيان ؟ وعلى هذا يا روديون رومانوفيتش ، هل ترى ما يدهش اذا أنا لجأت الى تلك اللعبة معك ؟ ثم لماذا جئت في تلك اللحظة بالذات الى مكتبي ؟ لقد كنت مدفوعا الى تلك الزيارة ، ولولا أن نيكولا قطع علينا استمرارنا ... هل تذكر مجيء نيكولا ؟ لقد كانت صاعقة حقيقية ! كان وكأن الرعد قد سقط عند أقدامي فزلزلها ! وكيف إستقبلته ؟ لقد أذهلتني

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

المفاجأة ، وقد لاحظت ذلك بنفسك . حسنا ، لقد دهشت بنفسي وكانت دهشتي عظيمة حينما أجابني بعد رحيلك بشكل دقيق ومفصل أجوبة حول نقاط معينة كانت غاية في الدقة . غير أنني ما شئت تصديق أقواله ! هذه هي نتائج الاحتفاظ بفكرة ما في الرأس ! كنت أقول لنفسي : كلا ! كلا ، ان نيكولا لا علاقة له بهذه القصة !

ـ لقد قال لي رازوميخين منذ برهة ان اتهامك ينصب الان على نيكولا ، وانك أنت نفسك قد أقنعت رازوميخين بـ ...

واختنق صوته فلم يستطع الاستمرار . كان فريسة اضطراب لا يوصف ، فقد سمع استدراك الرجل وتراجعه ، ذلك الرجل الذي استطاع كشف حقيقته ، فكان يخاف أن يصدقه ، لذلك فانه لم يصدقه كلمة مما قاله له . كان يحاول بكل قواه ايجاد شيء واضح تهائي خلال أقواله العامرة بكثير من الغموض .

هتف بورفير بيتروفيتش ، وكأنه ابتهج لسماع راسكولنيكوف يجيب على كلامه بعد أن لبث صامتا كالصنم حتى تلك اللحظة :

ـ السيد رازوميخين ! هه ، هه ، هه ! كان يجب أن أتخلص من رازوميخين لأنه حيث يكون بمكان لاثنين يكون الشخص الثالث غير مقبول ! ان رازوميخين طينة خاصه من الرجال ، انه شخص غريب عن القضية ، ثم انه هرع شاحبا ... لندعه جانبا اذا أحببت . أما نيكولا ، فانني سأبين لك نوعه بين الرجال اذا أردت . هل تريد ؟ انه قبل كل شيء طفل لم يبلغ بعد سن الرشد . وهو ليس جبانا لكنه يشبه الفنان في عقليته . لا تضحك اذا كنت أصفه بهذا الشكل . انه يتحدث عن الغناء والرقص أحاديث تجعل الناس ـ كما يقول ـ يهرعون من بعيد للاستماع اليه . ولما كان في المدرسه ، كانت الاشارة تكفي لينفجر التلاميذ بالضحك . انه يشرب حتى يصبح ثملا أقرب الى الموت .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وليس السبب في ذلك عادة متأصلة في نفسه، بل لمجرد التشبه بالآخرين، وللتسلية ، لذا فهو يشرب كل ما يقدم اليه . لم يكد يفهم أنه ارتكب سرقة ما . كان يقول : « لقد التقطت على الارض ما كان ملقى عليها لكنني لم أسرق ! » أتدري أن عددا من أفراد أسرته كانوا من شيعة «التائهين» ، وأنه كان قد أمضى عامين في الريف لدى واحد من هؤلاء . لقد علمت كل هذا من نيكولا ومن بعض مواطنيه من سكان زارائيسك . لقد كان يريد الفرار الى الصحراء ، ثم انه شديد الورع والتقوى ، فقد أمضى ليالي طويلة وهو يصلي الى الله ويقرأ الكتب المقدسة القديمة « الحقيقية » ويستغرق في تلك القراءة . لقد أثرت عليه بطرسبورغ تأثيرا سيئا . فغدا مولعا بالنساء ، وكذلك لعمري بالكحول . ولما كانت طبيعته متقلبة حساسة ، فانه لم يلبث أن نسي المرشد الذي كان عنده في الريف . ثم ان أحد الفنانين بدأ يهتم به لاعداده ، غير أن هذه المثالة المحزنة جاءت فأوقفت هذا المجهود ! لقد روع الغلام ، بل انه حاول الانتحار شنقا كما حاول الفرار ! ماذا تريد أن أعمل اذا كان الشعب قد ابتدع لنفسه مثل تلك الفكرة عن رجال القضاء ؟ ان مجرد كلمة « محكمة » تبعث الذعر والرعب . لكنها خطيئة من ؟ اننا نأمل أن يضع النظام القضائي الجديد كل شيء في مكانه .

اذن لما أدخل نيكولا السجن ، عاد مجددا يذكر مرشده الباسل . وهنا تدخل الانجيل أيضا . أتدري ، يارروديون رومانوفيتش ، ما معنى « تقبل الألم » بالنسبة الى بعض هؤلاء المتصوفين ؟ انه لا يعني فقط أن يتألم المرء نيابة عن غيره، بل أن يتألم فقط . أعني أنه ينبغي أن يحتمل الألم الذي تفرضه السلطات وهذا في نظرهم أسمى من الألم العادي . لقد عرفت شخصا سجينا وديعا مرتاح البال أمضى عاما كاملا في سجنه كان يقرأ الانجيل كل ليلة وهو قابع قرب المدفأة ، وقد قرأه بتعمق . حتى أنه ذات يوم ــ دون أي سبب ــ نزع قرميدة وقذفها على مدير

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

السجن الذي لم يكن قد أساء اليه مطلقاً . لكن كيف ألقاها ؟ لقد تدبر الامر بحيث تسقط القرمدة على بعد متر من الهدف على الاقل فـــلا تسبب للمدير أي جرح أو أذى ! ولا شك أنك تدرك نتيجة مثل هذه العملية بالنسبة لسجين أراد الاعتداء على أحد الرؤساء . لكنه بهذه الطريقة « تقبل الألم » ! وعلى ذلك فانني أشك في أن يكون نيكولا لا يهدف الى مثل هذه الغاية أو الى شيء من هذا القبيل . اذ يكفيني أن أعاين الوقائع . غير أنه لا يعرف أنني أعرف ذلك . ألا تعتقد بوجود مثل هؤلاء الاشخاص الخياليين في عداد الشعب ؟ انهم كثر . ان تأثير تلك الشيعة الصوفية عاد الى الظهور في نفسه مجددا خصوصا عندما فكر في شنق نفسه . لقد اعترف بذلك شخصيا . لكـــن أتعتقد أنـــه سيؤيد هذه الأقوال ؟ كلا سنرى أنه سوف يسحبها ويتراجع عنهـــا ، انني أنتظر من لحظة الى أخرى أن ينكر اعترافاته الاولى ، انني أشعر بميل الى هذا الـــ « نيكولا » لذلك فانني أدرسه بتعمق . ثم انه تقدم بتفاسير واضحة جدا حول بعض النقاط، لقد عرف كيف يقدم المعلومات اللازمة ، حتى أنه يرى تماما أن كل شيء كان معدا في نفسه . أما فيما يتعلق بنقاط اخرى فقد كان غامضا لم يستطع اعطاء كل فكرة صحيحة ... لكنه لا يشك لحظة واحدة في أنه لا يعرف عنهـــا شيئـــا ! لذلك ينبغي الدفاع عنه ، يا روديون رومانوفيتش ، لأنه بعيد عن كل هذا !. ان المسألة هنا مسألة وهم وغموض ، مسألة مفاجئة تلمس في كـــل الازمنة التي يكون القلق مستوليا على القلب البشري خصوصا في هذا الوقت التي تسمع فيه عبارات كهذه : « الدم يصلح » . وحيث الهناء والراحة هما ما تهدف اليهما الحياة كمذهب جديد في الوقت الحاضر. ان أحلاما مقتطفة من الكتب تبرز في هذه القضية . ان فيها عقلية بعض أصحاب النظريات الملتهبة ، عقلية تقرير المصير «منذ» الخطوة الاولى. لكنه تقرير من لون خاص . اذ أن المتهم قد حزم أمره ، وكأنه يسقـــط

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

من أعلى جبل أو برج ، بدا كأنه صعد اليه بأقدام غيره . لقد نسي أن يغلق الباب وراءه ثم قتل ، قتل شخصين تنفيذا لنظريته . لقد قتل ولم يستطع الاستيلاء على المال . أما ما وقع في الاستيلاء عليه فقد ذهب يخفيه تحت حجر . انه لم يكتف بذلك القلق والخوف اللذين احتملهما لما كان قابعا وراء الباب الذي كان يقرع عليه بضربات قوية ، بينما كان الجرس يقرع كذلك بعنف . كلا ان ذلك لم يكفه ، بل انه لبث فريسه وهم وهذيان ، فتذكر الجرس ومضى نحو المسكن الخالي، ليحس من جديد بتلك القشعريرة المتجمدة بين كتفيه ... لنفرض جدلا أن ذلك كان بتأثير المرض ، لكن هناك شيئا أكثر من ذلك ، وهو أنه قتل ويعتقد نفسه رغم ذلك رجلا شريفا يحتقر الناس ويرتفع الى مصاف الملائكة . كلا يا عزيزي روديون رومانوفيتش العزيز ، ان الامر هنا لا يتعلق بنيكولا . انها ليست قضية نيكولا ، أبدا .

ارتعد راسكولنيكوف من رأسه حتى قدميه وكأنه أصيب بطعنة نجلاء . كان يظن أن كل ما قيل ان هو الا استدراك واعتذار غير أن الكلمات الاخيرة بددت تلك الفكرة ...

غمغم بصوت مختنق رغم ارادته :

ـ اذن ... من الذي ... قتل اذن ؟

استلقى بورفير بيتروفيتش على مسند مقعده وبدا دهشا لهذا السؤال غير المنتظر .

أجاب وكأنه لا يصدق أذنيه :

ـ كيف . من الذي قتل ؟

ثم أضاف بصوت قريب الى الهمس وبلهجة لا تحتمل الجدل :

ـ لكنك أنت الذي قتلت . أنت الذي قتلت ، يا روديون رومانوفيتش ، انه أنت ...

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

انتفض راسكولنيكوف وهب واقفا ولبث بضع ثوان دون حراك. ثم عاد وجلس دون أن يتفوه بكلمة . تقلص وجهه بفعل نوبة من التشنج !

أردف بورفير مغمغما بشيء من الاهتمام :

ـ ها هي ذي الشفة ترتجف تماما كذلك اليوم . يبدو لي ، يا روديون رومانوفيتش ، أنك تفهمت تماما الاسباب التي دفعتني الى قول ما قلت . لذلك أراك مبهور الانفاس مذهولا . جئت خصيصا اليك لاروي لك الامر وأكشف القضية أمامك .

غمغم راسكولنيكوف شأن الطفل الذي ضبط متلبسا :

ـ لست أنا الذي قتلت .

فأجابه بورفير بصوت منخفض ولهجة خطيرة مقنعة :

ـ بلى . انه أنت ، يا روديون رومانوفيتش ! أنت ولا أحد سواك .

صمت كلاهما فترة طويلة تجاوزت العشر دقائق . كان راسكولنيكوف متكئا على المائدة تعبث أصابعه خلال شعره الاشعث. أما بورفير بيتروفيتش فقد كان ينتظر وهو في مكانه هادئا . وفجأة نظر راسكولنيكوف الى القاضي باشمئزاز :

ـ انك تعود أبدا ، يا بورفير بيتروفيتش ، الى هذه النقطة! دائما آراؤك نفسها. ألا يزعجك استمرار هذا أبدا ؟

ـ اه ! دعك من أساليبي وآرائي ! لو كان هناك شهود لاختلف الامر لكننا نتحدث منفردين كما ترى بنفسك . انني لم أحضر اليك لأطاردك أو أصطادك كالارنب البري . وسواء اعترفت لي أم لم تعترف في هذه اللحظة فان الامر عندي سيان . ان نظريتي قائمة دون تأييدك.

سأل راسكولنيكوف بلهجة خائفة :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لماذا جئت الى هنا طالما الامر كما تقول ؟ انني أطرح عليك السؤال اياه • اذا كنت تعتبرني مذنبا فلم لا ترسلني الى السجن ؟

ـ يا للسؤال البديع ! لسوف أجيبك على سؤالك فورا : أولا انه ليس من مصلحتي أن أبادر الى توقيفك على الفور •

ـ كيف لا يكون في مصلحتك ؟ اذا كنت مقتنعا فيجب أن •••

ـ اه ، ما قيمة قناعتي ؟ انها قائمة حتى الان على الاحلام • ثم لماذا أضعك هناك في « الراحة » ؟ انك تعرف أنها راحة لك لأن ذلك هو ما تطلبه • فلو أنني مثلا جابهتك بذلك الغراء وقلت له : « انك ثمل ولا شك • من الذي شاهدني معك ؟ لقد اعتبرتك ثملا بكل بساطة لأنك كنت كذلك في الواقع » • نعم لو أنك قلت له ذلك ، فأي جواب أستطيع أن أقوله ؟ خصوصا وان ادعاءك هذا يحتمل التصديق أكثر من ادعاءاته ، لأن أقواله مبنية على المبدأ البسيكولوجي فقط ، أما أنت فانك تبني أقوالك على حقائق ملموسة • اذ أن للرجل فما ، والحيوان نفسه يشرب • فلا يستبعد والحالة هذه أن يكون هو الاخر قد شرب ولكن كحولا • ان الأمر واضح تماما • ألم أخبرك بنفسي أن نظرياتي النفسانية ذات وجهتين احداهما أقرب الى الصواب والحقيقة من الاخرى ، وأنه ليس هناك في الوقت الحاضر أي دليل ايجابي ضدك؟ لسوف أوقفك ولا شك رغم أنني جئت ـ خلافا لكل الاصول المتبعة ـ أخطرك بكل هذا • انني أصرح لك ـ ضد تلك الاصول دائما ـ أنه ليس من مصلحتي أن أوقفك في الوقت الحاضر• أما السبب الثاني الذي جئت من أجله فهو •••

كان راسكولنيكوف مبهور الانفاس • سأل :

ـ حسنا ما هو السبب الثاني ؟

ـ لكنني ذكرته لك • انه الاعتذار الذي أريد تقديمه اليك •

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

انني لا أريد أن تعتبرني وحشاً خصوصا وانني أشعر بميل مخلص نحوك سواء أصدقت أم لم تصدق • لذلك فان هناك سببا ثالثا وهو أنني أريد أن أعرض عليك عرضا لا أخفي وراءه أي شيء : انني أعرض عليك أن تعترف بنفسك لأن ذلك سيكون أكثر نفعا لك ، وكذلك بالنسبة الي لأنني سأتخلص من هذا الوزر • هل ترى عرضي صريحا بهذا الشكل ؟

فكر راسكولنيكوف دقيقة ثم قال :

ـ اسمع ، يا بورفير بيتروفيتش • لقد قلت ان قناعتك قائمة على أساس نفساني بحت مع ذلك أراك تحاول اللجوء الى الرياضيات، فماذا يكون موقفك لو كنت مخطئا في هذه اللحظة ؟

ـ كلا ، يا روديون رومانوفيتش ، انني لست مخطئا ! ان في يدي واقعة صغيرة • وتلك الواقعة الصغيرة اكتشفتها ذلك اليوم• لقد أرسلها الله الي •

ـ ما هي تلك الواقعة الصغيرة ؟

ـ لن أقولها لك ، يا روديون رومانوفيتش • غير أنه مهما حصل فانني لا أجد من حقي أن أمهلك ولسوف أوقفك ، وعليه احكم : ان موقفك في الوقت الحاضر لا يهمني في كثير أو قليل • انني ما جئت الا لمصلحتك • والله يشهد ، يا روديون رومانوفيتش ، أن من مصلحتك الاعتراف •

قهقه راسكولنيكوف مستهزئا بشكل آلي :

ـ الحقيقة أن هذا أكثر من شاذ • انه وقاحة • انني مجرم حقا ـ الامر الذي لم أعترف به مطلقا ـ لماذا أعترف ؟ لك ؟ وانك قلت منذ لحظة بأنني سأكون في « راحة » في السجن •

ـ ايه ، يا روديون رومانوفيتش ، لا تفسر كلماتي حرفيا • قد لا

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

يكون في ذلك كل الراحة . ان القضية مجرد نظرية خاصة بي ، اذ ما هي سلطتي أنا بالنسبة اليك ؟ لعلني في الوقت الحاضر أخفي عنك شيئا . لأنه لا يمكنك أخذ اعترافاتي واستعمالها وفق هواك . أما النقطة الثانية فهي : ما هي مصلحتك في الموضوع ؟ هل لديك فكرة عن تخفيف العقوبة التي تشملك اذا اعترفت ؟ فكر في ذلك ! فكر فيما ينبغي أن تعامل به اذا جاء اعترافك في الوقت الذي تقدم فيه آخر معترفا بجريمته فأدار الانتباه عنك وركزه في نفسه . أما أنا ! فانني أقسم لك أمام الله أنني سأتدبر الامر وأتصرف به بكل قواي حتى اجعلك تستفيد منه دون أي شك، لسوف نهدم كل ذلك البناء النفساني الذي أقمناه . سوف أجعل الشبهات التي حامت ضدك عديمة القيمة حتى أجعل جريمتك تبدو لونا من الغموض طالما أنها كانت محتجة في نفسك بشكل غامض غريب . انني رجل شريف، يا روديون رومانوفيتش، أتمسك بوعودي .

أحنى راسكولنيكوف رأسه صامتا واستغرق في تفكير عميق، وأخيرا ابتسم ابتسامة عذبة سويداوية وقال دون أن يحاول خداع بورفير :

ـ لست في حاجة . ان الامر لا يستوجب العناء . انني لست في حاجة الى كرمك .

هتف بورفير بحماسة لا ارادية :

ـ ان هذا ما كنت أخشاه . كنت أنتظر أن أراك عازفا عن رحمتنا ...

ألقى عليه راسكولنيكوف نظرة حزينة ثاقبة . بينما استرسل بورفير :

ـ لا تشمئز من الحياة . انها لا تزال طويلة أمامك . فكيف لا

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

تريد الرحمة ، كيف ؟ انك صعب جدا .

ـ ماالذي سيكون طويلا أمامي ؟

ـ الحياة ! هل أنت نبي فتعرف كل هذه الامور ؟ ابحث وسوف تجد . قد يكون الله بانتظارك هناك . فالسجن لن يكون أبديا .

قال راسكولنيكوف باسما :

ـ ستخفف العقوبة اذن ...

ـ ماذا ؟.. أيكون خجلا برجوازيا ذلك الذي يوقفك ؟ قد يكون هو الخوف الذي يراودك دون أن تشعر لأنك شاب . مع ذلك فانه لا يجب أن تخجل أو أن تخاف من الاعتراف بالاثم الذي ينهش قلبك .

تمتم راسكولنيكوف بلهجة السأم والاحتقار وكأنه يأبى الكلام:

ـ اه ! لست أبالي .

بدا كأنه يحاول النهوض والذهاب لكنه عاد فجلس وهو فريسة يأس واضح.

ـ لست تبالي ! انك حذر وكأنك تعتقد أنني أخدعك بالتلطف معك بهذا الشكل الفظ . لكن هل عشت كل هذا العمر حتى تفكر في مثل هذه الامور ؟ لقد تخيلت نظرية وها انك خجل اذ تراها تقوم على الماء ، وانه يعوزها الواقع والاساس المتين ! بل ان ما تنتج عنها ردىء . لكن لست سفاكا لا يرجى صلاحه ! انك لست ذلك السفاك. أبدا لست سفاكا ، بل انك لم تحاول قبل هذه المرة ، بل قمت بفعلتك دفعة واحدة دون مقدمات . أتدري ماذا أفكر عنك ؟ انني أعتبرك من أولئك الرجال الذين يفضلون التهشم والتحطم على الاستسلام ، وينظرون ضاحكين الى جلاديهم شريطة أن يكونوا قد آمنوا بمبدأ ما أو رب ما . حسنا ابحث عن الله والمبدأ ولسوف تحيا . ثم انك في حاجة الى تبديل الهواء منذ زمن طويل . ان الألم شيء جيد أحيانا، فلتتألم اذن . لعل نيكولا على صواب في رغبته في الالم . انني أعرف

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أنك لا تؤمن بشيء ، لكن لا تحاول تعقيد الامور • استسلم لسياق الحياة دون مناقشة : كن خلي البال وعندئذ ستحملك الحياة الى الشاطىء وستعود واقفا على قدميك • أما ما هو ذلك الشاطىء ؟ وكيف أستطيع معرفته ؟ لست أدري • ان كل ما أعرفه هو انك ستعيش أيضا زمنا طويلا • انني واثق مما أقول ، لك أن تعتبره الان قسما معظما • ولعلك ستذكر كلماتي مستقبلا فتنتفع بها ، ومن أجل ذلك أقولها لك • ولك أن تغتبط لانك لم تقتل الا عجوزا خبيثة • اذ لو خطرت ببالك نظرية أخرى ، فانك كنت قادرا على ارتكاب فعلة أشد نكرا بألف مليون مرة ••• لعلك تشكر الله على هذا ، ماذا يدريك ؟ لعل الله يحفظك لأمر آخر • تشدد وكن أقل جبنا • هل تخاف من انجاز المهمة التي وجبت عليك ؟ ان الخجل ينبغي أن يكون من الشعور بالخوف في هذا المضمار ! وطالما أنك خطوت الخطوة الاولى ، فلا ينبغي أن تتراجع • ان هناك قضية العدالة • فاعمل ما تتطلبه العدالة ! انني أعرف أنك لا تؤمن بهذه الأقوال لكنني أشهد الله على أن الحياة ستنتصر عليك • لسوف تعود الى محبة الحياة بنفسك • انك الان في حاجة الى الهواء فقط ، ان ما ينبغي لك هو الهواء ، لا شيء الا الهواء !

ارتعد راسكولنيكوف وصرخ :

ـ ولكن من أنت ؟ من أنت حتى تتصنع خطورة الانبياء ؟ من أي « سيناء » تتنبأ لي بهذه الحكم ؟

ـ من أنا ؟ انني رجل انتهى دوره لا أكثر من ذلك ! رجل حساس رؤوف غير محروم تماما من المعرفة ولكن دوره قد انتهى تماما ! أما أنت فالامر خلاف ذلك بالنسبة اليك • ان الله قد هيأ لك الحياة • ومن يدري لعل كل هذه الامور ستتبخر من سماء حياتك وكأنها سحابة صيف ! ماذا يهم اذا كنت الان تنتمي الى فصيلة أخرى من الناس ؟ أهو

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الهناء الذي ستأسف له وأنت تملك مثل هذا القلب ؟ أم أنك ستأسف على ابتعادك زمنا طويلا بعيدا عن أنظار الاخرين ؟ ان الوقت لا قيمة له ، ان المهم في هذا الموضوع هو أنت بالذات • صر شمسا ولسوف يراك الناس أجمعين • لم تبتسم ابتسامتك هذه ؟ ألا تحدث نفسك بأنني أحذو حذو شيلر في الحديث ؟ أراهنك على أنك تعتقد بأنني أحاول أن أنتزع منك اعترافات لا تريد الادلاء بها ؟ لعمري انه ممكن، هه، هه، هه ! حسنا ، يا روديون رومانوفيتش • لا تصدق وعدي ، لا تصدق أقوالي ، انني أقوم بمهنتي وعملي • غير أنني سأضيف : لك أن تحكم اذا كنت رجلا شريفا أو خائنا ماكرا •

ـ متى تنوي توقيفي ؟

ـ أستطيع أن أدعك يوما ونصف اليوم أو يومين آخرين متمتعا بحريتك • فكر يا صديقي ، صل وابتهل الى الله ، ولسوف تربح • وأؤكد لك : سوف تربح !

سأل راسكولنيكوف ، وهو يضحك ضحكة غريبة :

ـ واذا فررت ؟

ـ كلا ، انك لم تفر ! ان أي موجيك قادر على الفرار ، كذلك المتشيع للافكار الحديثة ، خادم فكرة الاخرين الذي يكفي أن يؤنّب مرة ، ليقضي العمر كله يؤمن بما تقول ! لكن أنت ، انك لم تعد تؤمن الان بنظرياتك الشخصيه • فكيف اذن تلوذ بالفرار ؟ ثم ماذا سيكون وجودك بصفتك هاربا ؟ ان حيـ الهارب كريهة صعبة • انك بحاجة قبل كل شيء الى حياة هادئة مستقرة في جو تحس به وتميل اليه• فهل تكون كذلك اذا فررت ؟ انك اذا ذهبت لن تلبث أن تعود ! « لن تستطيع الاستغناء عنا » • وعندما سأضعك في السجن ، لسوف تعود كلماتي هذه الى ذاكرتك ولو بعد شهر أو اثنين أو ثلاثة • لكنها

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ستعود ، ولسوف تعترف بنفسك بصحتها وربما اعترفت في وقت لا تتوقعه بنفسك • قبل ساعة من الزمن لم تكن تعترف أنك نضجت للاعتراف بما عملت • بل انني أرى أنك على استعداد لتحمل الألم وتقبله • انك لا تؤمن الان بما أقول ولكنني واثق من أنك ستعود الى الايمان به • ان الألم يا روديون رومانوفيتش شيء عظيم ولا شك • انني أعرف ــ ولو أن الامر يبدو مضحكا ــ أن في الألم فكرة ما، وأن نيكولا على حق في نهجه • انك لن تفر ، يا روديون رومانوفيتش •

نهض راسكولنيكوف عن مقعده وأخذ قبعته فحذا بورفير بيتروفيتش حذوه •

ــ أتزمع القيام بنزهة ؟ ان الليلة جميلة اذا لم تهب عاصفة• لكنها اذا هبت فلسوف تلطف حرارة الجو •

وأخذ قبعته كذلك •

قال راسكولنكوف ملحا بلهجة خشنة :

ــ يا بورفير بيتروفيتش ، لا تعتقد أنني اعترفت لك بشيء اليوم• لقد كنت شديد الشذوذ فأصغيت اليك بمحض الفضول • انني لم أعترف لك بشيء ••• فلا تنسى هذا !

ــ نعم ، نعم ، لن أنسى ذلك • ألا ترى نفسك كم أنت مضطرب• لا تبتئس يا عزيزي ، ستكون مشيئتك محترمة • اذهب وقم بنزهة صغيرة ولكن لا تبتعد •

ثم أضاف بصوت خافت :

ــ ان لي رجاء آخر أتقدم به اليك ، انه رجاء دقيق ولكنه هام : اذا جال في خاطرك ــ رغم أنني لا أعتقد بامكان حدوث ذلك وأعتبرك غير قادر على صنعه ولكن ينبغي التحفظ ضد كل شيء ــ خلال الثمان والاربعين ساعة المقبلة أن تنتهي من الحياة وتقضي على حياتك بنفسك

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ واصفح عن هذا الافتراض النائي ـ فأرجو أن تترك ورقة صغيرة تفسر فيها موضع الحجر ، ورقة وعليها سطران فقط . لأن ذلك سيكون أكثر اباءً . هيا ـ الى اللقاء ... عسى أن تراودك أفكار طيبة وأن تنفذها على الفور !

انسحب بورفير وقد خيل الى راسكولنيكوف أنه كان منحني القامة قليلا ، وانه كان يتحاشى النظر الى وجهه . فهرع هذا الى النافذة وانتظر بنفاذ صبر محموم الوقت الذي قدر أن قاضي التحقيق يستغرقه للابتعاد عن المسكن ، ثم خرج مسرعا من غرفته ...

CVISION
TECHNOLOGIES

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

٣

كان يتلهف للقاء سفيدريكايلوف دون أن يدرك ماذا يأمل من لقائه . حسبه أن ذلك الرجل كان يمارس عليه لونا من السلطةالغامضة، ومنذ أن أدرك راسكولنيكوف هذه الحقيقة لم يشعر قط بالراحة . أضف الى ذلك أن الوقت قد أزف لايضاح هذه النقطة وجلائها .

كان سؤال واحد يعذبه وهو في طريقه: هل مضى سفيدريكايلوف الى بورفير وأطلعه على ما يعرف ؟ كان راسكولنيكوف ميالا الى الاعتقاد بعدم وقوع الشيء ، بل انه كان واثقا من ذلك . ولذلك فقد راح يفكر ويفكر . استعاد في مخيلته زيارة بورفير الأخيرة الى غرفته وخرج بالنتيجة التالية : كلا ، ان سفيدريكايلوف لم يذهب اليه، أبدا !

لكن اذا كان لم يذهب حتى الان فهل سيذهب في المستقبل أم لا يذهب ؟

استحسن في تلك الاثناء الرأي القائل ان الزيارة لن تكون. ولكن لم مال الى هذا الرأي القاتل ؟ لم تكن لديه مبررات معقولة، حتى ولو كانيستطيع تفسير الاسباب لما حطم دماغه في التفكير في دوافعها. كان كل هذا يعذبه ويؤلمه، فقد كانت هذه النقطة ثاني أشجانه وأحزانه. والغريب في الموضوع أن مصيره الحالي المباشر ما كان ليشغل باله الا على نطاق ضيق جدا ، بل انه كان يفكر فيه تفكيرا غير جدي الأمر الذي لا يبدو معقولا. كان شيء آخر يؤلمه أكثر من مصيره الشخصي، شيء أكثر خطورة واستثناء يخصه وحده ولا يخص أحدا سواه ، شيء كان مختلفا كل الاختلاف عن كل ما عداه ولكنه كان ذا أهمية رئيسية

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كلية . وكان يشعر الى جانب ذلك باعياء فكري شديد رغم أنه كان ذلك الصباح في حالة فكرية ممتازة أكثر من أي يوم مضى .

ثم ، لم يحاول الآن التغلب على كل هذه المصاعب الحقيرة التي عادت الى الظهور من جديد على طريقه بعد الذي حدث هذا الصباح ؟ هل يستوجب الأمر المضي الى سفيدريكايلوف والتآمر معه لمنعه عن الذهاب الى بورفير والادلاء بأقواله اليه ؟ هل يستوجب كل هذا اضاعة الوقت في كشف خفاياه والاحاطة بأي سفيدريكايلوف كان والتغلب عليه ؟

ألم يكن مغاليا في هذا كله ؟

مع ذلك فقد كان يتعجل البحث عن سفيدريكايلوف . ألم يكن ينتظر منه شيئا جديدا ، أو دلالة ما ، أو بعض الوسائل للخلاص ؟ ان هذا يكفي للبحث عنه . نعم ، انه يحدث غالبا أن يتعلق المرء بالقشة الواهية ! أو ليس المصير أو الغريزة هما اللذان يجمعان بينهما ؟ لعل ذلك كان مبعثه اجهاد راسكولنيكوف فقط . لعله لم يكن في حاجة الى سفيدريكايلوف بالذات ، بل الى آخر سواه ، ولكنه تهالك على هذا لعدم عثوره على الآخر ! الى أين يمضي اذن ؟ الى سونيا ؟ ولكن لم عند سونيا دون سواها ؟ أليستجدي دموعها ؟ ان سونيا تخيفه ! كانت تمثل الحكمة التي لا تنقض ، القرار الذي لا ينقض ! والذهاب اليها يعني الاستسلام والتخلي عن النضال . انه لم يكن — في تلك اللحظة على الاخص — قادرا على احتمال رؤيتها . وعلى ذلك ، أليس من الافضل أن يعمد الى سفيدريكايلوف ؟ لم لا ؟ لم يكن يستطيع الانكار في سره . ان هذا الرجل أصبح منذ زمن ما ضرورة ملحة بالنسبة اليه .

لكن ، ما هو التفاهم أو التشابه الذي يجمع بينهما ؟ أهو

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

اجرامهما ؟ ان لكل منهما طابعا خاصا يختلف عن الاخر • لقد كان في ذلك الرجل شيء مزعج لا يحتمل • وهو حسب كل المظاهر ليس الا شديد الفجور ، شديد الحذر والمكر ، ولعله شديد الخبث كذلك • ان مئات الشائعات تحوم حوله • صحيح أنه راح يعنى بأولاد كاترين ايفانوفنا ولكن من يدري ما هي نواياه ! ان رجلا كهذا لا يمكنه البقاء متعطلا عن أي مشروع قذر يتدبره !

منذ أيام عديدة ، لم تنفك فكرة معينة عن مراوده راسكولنيكوف وتعذيبه، رغم ما بذل من المساعي لطردها والتخلص من ايلامها العنيف• كان يحدث نفسه أحيانا : « ان سفيدريكايلوف يحوم حولي أبدا ، بل انه يحوم حولي في هذه اللحظة كذلك • لقد اكتشف سفيدريكايلوف سري • كانت لسفيدريكايلوف نواياه الخاصة ضد دونيا • فماذا لو كانت نواياه لا زالت كما هي لم تتبدل ؟ بل يمكن القول انها لم تتبدل اطلاقا • والان وقد عرف سري ، وله نوع من السيطرة علي ، ألا يمكن أن يستعمل هذا السلاح ضد دونيا لاخضاعها ؟ »

تلك هي الفكرة التي كانت تزعجه حتى في منامه • لكنها كانت تبدو لأول مره بمثل هذا الوضوح • لم تظهر واضحة الا في هذه اللحظة التي جاء يسعى فيها وراء سفيدريكايلوف • وكانت هذه الفكرة كافية لتثير في نفسه غضبا مكبوتا • لأن الأمر أصبح شديد الاختلاف بالنسبة اليه ؛ وبات يجب عليه أن يفضح سره فورا أمام دونيا ليقطع الطريق على ذلك • بل لعل الأصوب أن يسلم نفسه الى العدالة ليحول انتباه دونيا عن أي تصرف طائش قد تكون مصممة على الاقدام عليه في سبيله •

وفجأة قفزت الى ذهنه كلمة: الرسالة ! لقد تلقت دونيا رسالة ذلك الصباح ! ممن يمكن أن تتلقى دونيا رسالة في بطرسبورغ ؟ ألا يمكن

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أن تكون من لوجين ؟ ان الحقيقة أن رازوميخين كان يقوم بحراسة طيبة ، ولكن رازوميخين لا يعرف من الأمر شيئا • لعله اذن يكشف عن نفسه أمام رازوميخين • لكن راسكولنيكوف شعر بشيء من الرعب عندما بلغت أفكاره هذا الحد •

قرر في نفسه أخيرا! « على كل حال، ينبغي مقابلة سفيدريكايلوف بأسرع ما يمكن • وانني أحمد الله على أن التفاصيل هنا ليست كثيرة الأهمية لأن صميم الموضوع هو الأهم فيها • لكنه قادر على ذلك ••• اذا كان سفيدريكايلوف يدبر أي شيء ضد دونيا ، فعندئذ ••• »

كان راسكولنيكوف شديد الاعياء بعد هذا الشهر الطويل من النضال والمفاجئات • وقد بلغ به الاعياء أن شعر بنفسه عاجزا عن حل هذه المعضلات وايجاد الاجوبة عليها ، فلم يجد الا هذه الكلمات اليائسة ينهي بها نجواه : « ••• اذن ، سأقتله » • كان يشعر باحساس أليم يعتصر قلبه • فتوقف في منتصف الشارع يجيل الطرف حوله • أي طريق سلك ، أي كان في تلك اللحظة ؟ وجد نفسه في شارع «ايكس» ••• على بعد ثلاثين أو أربعين خطوة من شارع العلف الذي كان قد اجتازه • كانت الطبقة الاولى من البناء الواقع على يساره تشغلها حانة، فكانت نوافذها مفتوحة كلها • وكان المشرب ــ اذا اعتبرت الوجوه المطلة من النوافذ ــ غاصا بالناس • كانت أصوات الغناء تتعالى من « الصالة » يرافقها عزف على الكلارينيت والكمان يصحبه ايقاع طبل• وكانت صرخات نسائية حادة تسمع بوضوح في ذلك الضجيج • هم راسكولنيكوف بالعودة وهو يتساءل عن السبب الذي حمله على المجيء الى هنا ، لكنه فجأة لمح وراء احدى تلك النوافذ وجه سفيدريكايلوف وغليونه بين أسنانه وهو جالس الى مائدة شاي • فشعر بدهشة لم تخل من فزع • كان سفيدريكايلوف يتأمله ويراقبه

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

بصمت . بل وأغرب من ذلك : بدا على سفيدريكايلوف أنه يحـــاول النهوض ليتسلل من مكانه قبل أن يلاحظـه راسكولنيكوف ، الامر الذي زاد في دهشة هذا واستغرابه .

تظاهر راسكولنيكوف بأنه لم يره ، وراح ينظر الى جهـة أخرى بشيء من الاضطراب والحيرة دون أن يغفل عن مراقبته بزاوية عنـه. كان القلق يزيد في ضربات قلبه ! تأكدت ظنونه ، لأن سفيدريكايلوف كان يحاول ألا تقع العين عليه . لذلك نزع غليـونه مـن فمـه وأراد الاختفاء . لكنه لما نهض وأزاح المقعـد من أمـامه ، تـأكد مـن أن راسكولنيكوف شاهده وأنه كان يراقبه بامعان . ووقع بينما مشهـد مماثل لذلك الذي وقع ابان لقائهما الاول في غرفة راسكولنيكوف لما كانهذا يتصنع النوم. لاحتابتسامة ماكرة على شفتي سفيدريكايلوف راحت تتسع حتى غمرت وجهه . وهكذا فان كلا منهما شعر أن الاخر كان يراقبه ويتأمله . وأخيرا أطلق سفيدريكايلوف قهقهة مجلجلةوهتف من النافذة :

ـ هيا ، هيا ؟ ادخل اذا شئت ، انني هنا !

فصعد راسكولنيكوف الى الحانة .

وجد سفيدريكايلوف جالسا في احدى الحجرات الخلفية المتصلة « بالصالة » الكبرى ، حيث كان عدد من التجار والموظفين ومن مختلف الطبقات والدرجات يشغلون حوالي عشرينمائدة يتناولون الشايوسط ضجيج المغنين وفرقهم وصخب الزبائن الذي يصم الاذان ! وكـانت هناك أصوات ارتطام كراتالبيليارد تصل من مكان ما الىأسماعه. كان سفيدريكايلوف يمسك بيده كأسا من الشمبانيا ممتلئة حتى نصفهـا، وعلى المائدة زجاجة من هذه الخمرة الراقية . وكان في تلك الحجـرة غلام يحمل أرغنا صغيرا يعزف عليه ، بينما راحت فتاة سمينة في الثامنة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

عشرة من عمرها ذات خدين منتفخين شديدي الاحمرار تغني لحنا شعبيا بصوت منخفض أجش ، رغم الضجة القوية التي كانت منبعثة من الصالة الكبرى • كانت ترتدي « تنورة » مخططة تبرز تقاطيع جسمها وتضع على رأسها قبعة ذات أشرطة ملونة على غرار أهل التيرول •

قاطعهما سفيدريكايلوف حينما دخل راسكولنيكوف :

ـ هيا ، هذا يكفي !

فتوقفت الفتاة على الفور ، ووقفت وقفة محترمة تنتظر • لقد كانت منذ قليل تحمل ذلك الطابع من الخطورة والاحترام قبل أن تشرع في ترديد قذاراتها الملحنة •••

هتف سفيدريكايلوف :

ـ اه ، فيليب ! أعطني قدحا !

فقال راسكولنيكوف :

ـ لن أحتسي الخمرة •

ـ كما تشاء ، انني لم أطلب القدح لك • أشربي يا كاتيا واذهبي، انني لم أعد في حاجة الى شيء اليوم •

وصب لها كأسا من الخمرة ودس في يدها ورقة نقدية ، فوضعت كاتيا القدح على فمها شأن النساء المدمنات وشربته على عشرين جرعة صغيرة دون أن ترفعه عن شفتيها ، وأخذت الورقة النقدية ثم قبلت يد سفيدريكايلوف ـ الذي لم يمانع في ذلك بل مد لها يده وعلى وجهه امارات الجد ـ وبارحت الحجرة يتبعها الغلام وهو يجر أرغنه جرا • لقد كان كلاهما من أولاد الشارع • لم يكن قد انقضى على وجود سفيدريكايلوف في بطرسبورغ أكثر من ثمانية أيام مع ذلك فقد راح يجول فيها ويلهو وكأنه في منزله ! وكان فيليب الندل المولج بتلك الحجرة أحد « معارفه » ، فكان يقوم على خدمته باحترام وتفان • فاذا

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أدار سفيدريكايلوف المفتاح في قفل الباب ، أصبح في تلك الحجرة وكأنه في مسكنه الخاص ، ينعم بكل الحرية • ولعله كان يقضي هناك أياما كاملة • كان المشرب قذرا كريها لا يمكن أن يرفع الى مصافه حانات الدرجة الثانية •

شرع راسكولنيكوف يقول :

ــ كنت أريد رؤيتك وكنت أبحث عنك ! ولست أدري لم انعطفت في هذا الشارع بعد أن اجتزت سوق العلف ! انني لم أمر مرة واحدة من هنا قبل اليوم ، بل جرت عادتي على المضي الى يمين السوق • ثم ان هذا الطريق لا يقود الى مسكنك ، مع ذلك فأنني لم أكد أستدير قليلا حتى شاهدتك • أليس هذا غريبا ؟

ــ لم لا تقول بكل بساطة انها معجزة !

ــ لأنها قد تكون محض صدفة !

قال سفيدريكايلوف ، وهو ينفجر ضاحكا :

ــ يا لسذاجة الناس المضحكة ! انهم يرون المعجزة بأم عينهم لكنهم لا يقرونها ! انك نفسك تقول انها « قد تكون » صدفة • يا لجبن الناس ازاء آرائهم الشخصية ! انك لا تستطيع تكوين فكرة عن ذلك ، يا رروديون رومانوفيتش ! انني لا أقول هذا لك • ولا شك لأنك تمتلك فكرة شخصية لم تخش من الاحتفاظ بها والحصول عليها • بل ان هذا هو السبب الذي أثار فضولي نحوك •

ــ أهذا هو السبب فقط ؟

ــ انه سبب كاف !

كان سفيدريكايلوف في حالة انفعال غير ظاهرة تماما اذ لم يكن قد شرب بعد الا نصف القدح الاول •

قال راسكولنيكوف ملمحا :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ أظن أنك جئت الي قبل أن تعرف اذا كنت قادرا على امتلاك « فكرة خاصة » . أليس هذا هو الاسم الذي أطلقته ؟

ـ صحيح . غير أن الأمر كان في ذلك الحين مختلفا . ان لكل انسان أسلوبه في الحياة . أما فيما يتعلق بهذه المعجزة ، فانني أخالك قد أمضيت هذه الأيام الثلاثة الاخيرة نائما . لقد أنبأتك بنفسي عن هذه الحانة ، فليس هناك اذن أية معجزة اذا كنت قد جئت مباشرة الى هنا . لقد بينت لك الطريق الذي ستسلكه والمكان الذي يقع فيه هذا المشرب ، ثم أوضحت لك الساعات التي أكون فيها موجودا هنا . ألا تذكر ؟

أجاب راسكولنيكوف مأخوذا :

ـ لقد نسيت هذا .

ـ أظن ! لقد ذكرت لك العنوان مرتين فانطبع بصورة آلية في ذاكرتك . لقد انعطفت بصورة آلية أيضا من هذا الطريق دون أن تتذكر العنوان على الضبط . انني أذكر أنني عندما كنت أحدثك ، لم أكن أنتظر منك أن تفهمني . انك تهمل نفسك كثيرا ، يارروديون رومانوفيتش . انني أصبحت واثقا أن في بطرسبورغ عددا كبيرا من الناس يحدثون أنفسهم وهم يسيرون . انها مدينة أنصاف المجانين . ولو كان لدينا بعض من العلوم ، بين أطباء وقضاة وفلاسفة ، لاستطاع كل منهم في اختصاصه أن يؤلف عن بطرسبورغ ملاحظات ثمينة جدا غاية في الدقة . لن يجد الانسان بسهولة مدينة أخرى تمارس مثل هذه التأثيرات المظلمة الحادة الغريبة سلطانها على النفوس البشرية ، كما هو الحال في بطرسبورغ . ان من الجائز أن يكون المناخ سبب كل هذا ! مع ذلك ، فان هذه المدينة ، بوصفها المركز الاداري في البلاد ، يجب أن يمتد تأثيرها هذا على كل الارض الروسية . غير أنني لا أريد التحدث عن

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

هذا الامر في الوقت الحاضر . كنت أريد أن أقول لك انني شهدتك أكثر من مرة دون أن تشعر . فكنت اذا خرجت من مسكنك ، رفعت رأسك . لكنك لا تكاد تقطع عشرين خطوة حتى تعود الى احنائه وتعقد ذراعيك وراء ظهرك . انك تنعم بالنظر ولكنك لا ترى شيئا أمامك أو حولك . وأخيرا فانك تحرك شفتيك وتتحدث مع نفسك ! بل انه يحدث لك أحيانا أن تحرك يديك وكأنك تهدد أو تتوعد ، ثم تتوقف في منتصف الطريق فترة طويلة . ان هذا لا يجديك نفعا اذ يجوز أن يراقبك الاخرون ، وعندئذ ستكون المسألة على غير ما تشتهي . ان هذه القضية لا تهمني مطلقا ولست أنا الذي أقدر على شفائك . انك تفهمني ولا شك !

نظر اليه راسكولنيكوف بفضول ، وسأل :

ـ أتدري بأنهم تتبعونني ؟

فأجاب سفيدريكايلوف بدهشة :

ـ كلا ، انني لا أعرف شيئا .

قطب راسكولنيكوف حاجبيه ، وغمغم قائلا :

ـ اذن لنسقط التحدث عني من حسابنا .

ـ حسنا ، لن نعود الى الكلام عنك .

ـ قل لي : اذا كنت ترتاد هذا المكان لتسكر ، وكنت قد أطلعتني مرتين على هذا العنوان لألقاك فيه ، فكيف اذن حاولت الاختباء منذ حين لما كنت في الشارع أنظر اليك ؟ لقد حاولت التسلل ، انني واثق من ذلك .

ـ قد تكون هناك ... أسباب ... انك تعرفها بنفسك !

ـ وأنا أيضا قد تكون لدي أسباب قد لا تعرفها !

اتكأ راسكولنيكوف بذراعه الأيمن على المائدة وأسند ذقنه

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

على أصابع تلك اليد وراح ينظر الى سفيدريكايلوف نظرة ثابتة عميقة . كان يتأمل منذ دقيقة مضت ذلك الوجه الذي كان يشعر دائما بتأثيره في نفسه . كان وجها غريبا يشبه القناع : أبيض ، أحمر ، بشفتين قرمزيتين ولحية شقراء صهباء وشعر غزير أبيض . كانت عيناه شديدتي الزرقة ونظراتهما ثقيلة عميقة وثابتة . كان في ذلك الوجه الجميل الذي لبث رغم السنين محتفظا بشبابه الخارق شيء يبعث على النفور العنيف العميق ! كان سفيدريكايلوف مرتديا ثوبا صيفيا أنيقا من قماش خفيف ويمتاز بقميصه الثمين الأنيق . وكان يحلي اصبعه بخاتم كبير يزينه حجر كريم مشع .

CVISION
TECHNOLOGIES

قال راسكولنيكوف فجأة ، وهو يمضي الى هدفه بلهفة محمومة:

ـ هل يجب أن تثير أنت الآخر بعض المتاعب حولي ؟ على الرغم من أنك أكثر الرجال خطرا علي حينما يصمم على الاضرار بي ، فانني لم أحاول التمويه وقتا أطول ، بل سأثبت لك على الفور أنني لا أخاف على نفسي . اعلم أنني ما جئت الا لأنذرك بأنك اذا قررت الاستمرار على نواياك السابقة ازاء أختي ، أو أنك تفكر في استغلال السر الذي اطلعت عليه مؤخرا ، فانني سأقتلك قبل أن تستطيع الزج بي في السجن . ثق بكلمتي . انك تعرف أنني قادر على تنفيذها . اذا كنت ترغب في اطلاعي على شيء ما ـ ولقد شعرت منذ بعض الوقت أنك تريد البحث معي حول موضوع معين ـ فاسرع في اعلامي بما تريد لأن الوقت ثمين ولعله يفوت بعد قليل !

سأل سفيدريكايلوف ، وهو يتأمله بفضول :

ـ ما الذي يضايقك الى هذا الحد ؟

فأجاب راسكولنيكوف بلهجة غامضة :

ـ لكل أعماله !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

قال سفيدريكايلوف باسما :

ـ انك تدعوني الى الصراحة معك واذا بك ترفض الجواب على السؤال الأول ! انك تعتقد دائما بأنني أتدبر أمرا ما ، لذلك فانك تنظر اليّ بريبة وتشكك . انني أفهم الأمر تماما بالنسبة لمن كان في مثل مركزك . لكن مهما كانت رغبتي في ايجاد علاقات جيدة بيننا فانني لن أضيع وقتي في دحض آرائك وتسفيهها . والله ان الامر يستوجب هذه العناية . انني لم أكن مطلقا على استعداد للتفاهم معك حول موضوع معين أو بشكل خاص .

ـ لِمَ اذن كنت شديد الاهتمام بي؟ انني أراك تحوم أبدا حولي!

ـ لأنك ، بكل بساطة ، موضوع طريف يجدر ملاحظته . لقد أعجبتني بسبب حالتك الخارقة الدقيقه . هذا هو السبب كله ! ثم انك أخو فتاة أعجبتني فيما مضى كل الاعجاب . ولقد سمعت عنك أشياء كثيرة من قبل نقلت الي بواسطة تلك الفتاة بالذات ، فاستنتجت من ذلك أن لك عليها تأثيرا كبيرا . فهل هذا كله أمر تافه ؟ هه ، هه ، هه ! ثم انني أعترف بأن سؤالك عميق ودقيق جدا من الصعب علي الاجابة عليه ، خذ مثلا ، انك لم تحضر الى هنا لتحدثني فقط عن الاعمال بل لتطلعني على شيء جديد ، أليس كذلك ؟

قال سفيدريكايلوف هذا بشيء من الالحاح وعلى شفتيه ابتسامة هازئة ، ثم أردف :

ـ تصور ، اذن ، أنني لما كنت في القطار في طريقي الى بطرسبورغ ، كنت أعتمد عليك آملا أن تقول لي شيئا « جديدا » أو أن أوفق في استعاره شيء منك . نحن جميعا هكذا معشر الاغنياء !

ـ تستعير مني ماذا ؟

ـ كيف أفسر لك الأمر ... هل أدري ؟ لكن أنظر في أي بؤره

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

قذرة أقضي وقتي . مع ذلك ، فانني أشعر بسرور ، لمجرد أنني أنعم بالجلوس في مكان ما حتى ولو لم يكن فيه الا تلك المسكينة كاتيا ... هل رأيتها ؟... انها تكفي ! كم أتمنى لو كنت آكولا أو ميالا الى الشراب ... مع ذلك ... خذ ... هذا ما أستطيع أن آكله .

وأشار باصبعه الى طبق من الحديد الابيض كان على طرف المائدة وفيه بقايا لحم بقر مشوي مهيأ بشكل كريه مع قطع من البطاطا ، وأردف :

ـ على فكرة ، هل تناولت طعامك ؟ انني لم أكد أستهلك جانبا من طعامي ولا أشعر بأية شهية الى الطعام . أما الخمرة فانني لا أشرب الا الشمبانيا . حتى هذه فان قدحا واحدا منها يكفيني كل الامسية لأنها تسبب لي الصداع . فاذا كنت قد طلبتها اليوم فذلك لأمتلك نفسي ، لأن علي أن أمضي بعد حين الى مكان ما . ألا تراني في حالة فكرية خاصة ؟ لقد حاولت منذ لحظات أن أختفي كالتلميذ الخجول لأنني تصورت أنك سوف تزعجني ...

ثم أضاف بعد أن أخرج ساعته من جيبه وألقى عليها نظرة :

ـ غير أنني أستطيع قضاء ساعة معك . فالساعة الآن الرابعة والنصف . هل تصدق ؟... لو أنني كنت ملاكا مثلا أو أبا لأسرة أو جنديا أو مصورا أو صحفيا ... لكنني لا أملك أي اختصاص وهذا ما يضجرني أحيانا . الحقيقة أني كنت أنتظر منك اطلاعي على شيء جديد .

ـ لكن من أنت ولِمَ جئت الى هنا ؟

ـ من أنا ؟ انك تعرف . انني أحد النبلاء وقد خدمت عامين في سلاح الفرسان وأخيرا جئت أحوم هنا في بطرسبورغ ، وبعدها تزوجت مارت بيتروفنا وعشت في الريف ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ انك تبدو مقامرا ، أليس كذلك ؟
ـ بل انني غشاش ولست مقامرا .
ـ وهل غششت ؟
ـ نعم لقد فعلت ذلك أيضا .
ـ أوَ لم تعاقب من أجل ذلك ؟
ـ وقع لي مثل هذا الأمر ، ماذا بعد ؟
ـ يمكنك اذن أن تجابه الأمور على شكل مبارزة شريفة . ان ذلك يثير الدم .
ـ انني لا أعارضك وأعترف كذلك أنني لا أفهم شيئا عن الفلسفة . انني أصرح لك بأن سبب مجيئي كان على الغالب من أجل النساء .

ـ رغم أنك لم تكد تدفن مارت بيتروفنا ؟
أجابه سفيدريكايلوف بضحكة صريحة هادئة :
ـ لعمري نعم . لم لا ؟ هل يزعجك أن أتحدث هكذا عن النساء ؟
ـ أتسألني اذا كان يزعجني أن يعيش المرء في الفجور والغش ؟
ـ في الفجور ؟ انك تسمي الأشياء بأسمائها ! لكن لكي أنتهج في الجواب على أسلوب متسلسل أبدأ في بحث النساء . انك تعرف أنني ميال الى الثرثرة . قل لي لِمَ أزعج نفسي بذلك ؟ لم أكف عن الاهتمام بالنساء طالما أنني أعمل من أجلهن ؟ ان قضيتهن لون من العمل .
ـ على هذا فان كل آمالك مبنية على الفجور فقط ؟
ـ حسنا ، لنقل على الفجور طالما أنك تتمسك بهذه الكلمة . نعم انني عاشق وهذه بالنسبة الي هي المسألة الاولى . ان للفجور على الاقل شيئا من الاستمرار يضفيه على الطبيعة ، وليس عليه أن يحتمل

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

تزعات خيالاتنا وأهوائنا • ان فيه شيئا دائما أشبه بالشعلة المتوقدة في الدم ، على استعداد أبدا لمتابعة اللهيب الذي لا ينطفىء بمرور السنين• أو َ لا توافقني بعد هذا على أنه لون من الانشغال جدير بالاهتمام ؟

ــ في الحقيقة أنه ليس فيه ما يستوجب التهنئة عليه • انه مرض، ومرض خطير •

ــ آه ! هذه هي اذن غايتك التي تهدف اليها ! انني أوافقك على أنه مرض ككل شيء يتجاوز حدوده • والحدود هنا لا يمكن الا أن تتجاوز • لكن الامر الذي قد يكون على غرار هذا بالنسبة للبعض لا يكون كذلك بالنسبة للآخرين • ثم انه يجب على المرء أن يتلطف في هذا الامر رغم أنه حساب بشع دنيء ، لكنه بدونه لا يبقى للمرء الا الموت • مع ذلك فانني أعترف أيضا بأن الرجل الشريف يشعر ولا شك بالضجر والضيق •

ــ هل أنت على استعداد لقتل نفسك اذا أخفقت في هذا المضمار؟

أجاب سفيدريكايلوف باشمئزاز :

ــ يا للسؤال !

وأسرع يضيف وقد تبدلت تقاطيع وجهه التي لبث مختفيا وراءها حتى تلك اللحظة • فأصبح وجهه يعبر عن تبدل مفاجيء :

ــ أرجو أن لا تحدثني بهذا• انني أعرف أن لدي ضعفا لا يغتفر، ألا وهو الخوف من الموت • لذلك فانني لا أحب أن يتحدث المرء عنه• هل تعرف أنني متصوف على شكل من الأشكال •

ــ آه ! آه ! لعلك ستتحدث عن شبح مارت يبتروفنا ! وعلى فكرة ، ألا تزال تلك الرؤيا تعرض لك ؟

ــ دعنا من هذا ، انك لا تؤمن به ، ثم انني لم أعد أراها هنا في بطرسبورغ ••• ليحملهم الشيطان •

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

نزعات خيالاتنا وأهوائنا . ان فيه شيئا دائما أشبه بالشعلة المتوقدة في الدم ، على استعداد أبدا لمتابعة اللهيب الذي لا ينطفىء بمرور السنين. أو لا توافقني بعد هذا على أنه لون من الانشغال جدير بالاهتمام ؟

ـ في الحقيقة أنه ليس فيه ما يستوجب التهنئة عليه . انه مرض، ومرض خطير .

ـ آه ! هذه هي اذن غايتك التي تهدف اليها ! انني أوافقك على أنه مرض ككل شيء يتجاوز حدوده . والحدود هنا لا يمكن الا أن تتجاوز . لكن الامر الذي قد يكون على غرار هذا بالنسبة للبعض لا يكون كذلك بالنسبة للآخرين . ثم انه يجب على المرء أن يتلطف في هذا الامر رغم أنه حساب بشع دنيء ، لكنه بدونه لا يبقى للمرء الا الموت . مع ذلك فانني أعترف أيضا بأن الرجل الشريف يشعر ولا شك بالضجر والضيق .

ـ هل أنت على استعداد لقتل نفسك اذا أخفقت في هذا المضمار؟

أجاب سفيدريكايلوف باشمئزاز :

ـ يا للسؤال !

وأسرع يضيف وقد تبدلت تقاطيع وجهه التي لبث مختفيا وراءها حتى تلك اللحظة . فأصبح وجهه يعبر عن تبدل مفاجيء :

ـ أرجو أن لا تحدثني بهذا. انني أعترف أن لدى ضعفا لا يغتفر، ألا وهو الخوف من الموت . لذلك فانني لا أحب أن يتحدث المرء عنه. هل تعرف أنني منصوف على شكل من الأشكال .

ـ آه ! آه ! لعلك ستتحدث عن شبح مارث يبتروفنا ! وعلى فكرة ، ألا تزال تلك الرؤيا تعرض لك ؟

ـ دعنا من هذا ، انك لا تؤمن به ، ثم انني لم أعد أراها هنا في بطرسبورغ ... ليحملهم الشيطان .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كان صوته طافحا بالغضب ، وأضاف :

ـ كلا ، لنتكلم على الأصح عن ... هم ... ان الوقت يمضي ولا أستطيع البقاء معك زمنا طويلا . يا للأسف ! كان يمكنك أن تطلع على أمر جديد !

ـ هل الأمر متعلق بامرأة أيضا ؟

ـ نعم بامرأة . وانه موعد غير منتظر ... كلا انه ليس ما تظن .

ـ أوَ لم تشعر ببشاعة هذه البؤرة ؟ أليس لديك من العزيمة ما يساعدك على التوقف ؟

ـ ماذا ، أهو أنت الذي تتكلم عن العزيمة ؟ هاهاها ! انك تغرقني بالذهول ، يا روديون رومانوفيتش ! مع ذلك فقد كنت أنتظر ذلك . انه أنت الذي تحدثني عن الفجور والجمال . أنت ؟ شيلر ! مثالي ! انه جميل ولا شك أن يكون المرء كذلك ، بل وانه أدعى للدهشة أن يكون المرء خلافا لذلك . على كل حال انه ليس مدهشا الى هذا الحد... من المؤسف أن يكون الوقت متسلطا علينا بهذا الشكل لأنك انسان تستثير الفضول ! على فكرة ، هل تحب شيلر ؟ انني أتذوقه بكل متعة .

قال راسكولنيكوف بشيء من الاحتقار :

ـ يا للمشعوذ النادر الذي تبدوه !

أجاب سفيدريكايلوف ، وهو ينفجر ضاحكا :

ـ لعمري انك مخطىء ! مع ذلك فانني لا أنقض كلمتك حول الشعوذة ، لكن لمَ لا يشعوذ المرء في الحياة اذا كان الأمر لا يسيء الى أحد ؟ لقد عشت سبع سنين بصحبة مارت بيتروفنا في الريف ، لذلك فانني ما كدت ألتقي برجل فكر مثلك حتى ارتميت عليك . انني أقول رجل فكر . بل وأقول رجلا مثيرا . نعم انني مرتاح تماما للثرثرة معك . أضف الى ذلك أن نصف القدح من الخمرة الذي شربته قد أثر تأثيرا

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

خفيفا في رأسي . لكن هناك حدثا آخر سبب هذا الاضطراب الذي تراه ، وانني أفضل ألا أتفوه بكلمة عنه .

وفجأة سأل سفيدريكايلوف مروعا :

ـ الى أين تذهب ؟

ذلك أن راسكولنيكوف كان قد نهض . لقد شعر بارتباك لمجيئه الى هنا بل وأحس بأنه يكاد يختنق . أدرك في اللحظة أنه ازاء أسوأ فاجر شرير حقير حملته الارض .

قال سفيدريكايلوف متوسلا :

ـ اه ! ابقَ ، ابقَ أرجوك . اشرب كأسا من الشاي ، هيا اجلس. هكذا . لسوف أكف عن التحدث اليك بمثل هذا الهذر، أي أنني سأكف عن التحدث عن نفسي . سوف أقص عليك شيئا . أتريد أن تعلم كيف أنقذتني امرأة ؟ ان ذلك سيكون جوابا على سؤالك الاول . ان تلك المرأة كانت أختك . هل أستطيع التحدث ؟ ان ذلك يقتل الوقت .

ـ تكلم . غير أنني أرجو ...

ـ أوه ! لا تبتئس ! ان أفدوتيا رومانوفنا لا يمكن الا أن توحي بالاحترام العميق حتى بالنسبة الى رجل في مثل دناءتي.

وشرع سفيدريكايلوف يروي قصته .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

٤

انك لا تجهل ولا شك ــ خصوصا وأني حدثتك به من قبل ــ أنني سجنت من قبل بسبب ديون ، وكان سجني هنا بالذات • كان الأمر يتعلق بمبلغ كبير لم أكن أملك منه القرش الأول • أعتقد أنك تعرف الى أي مدى تفقد المرأة المحبة عقلها • لذلك فلا حاجة بي الى سرد تفاصيل شراء مارت بينروفنا حريتي • لقد كانت امرأة شريفة عاقلة رغم افتقارها التام الى الثقافة • تصور أن تلك المرأة الغيور شديدة النزاهة أقدمت أخيرا ــ بصدد عديد من مواقف التوبيخ ــ على عقد لون من الاتفاق معي ظلت محافظة على شروطه طيلة المدة التي لبثنا فيها متحدين • ولا يفوتني في هذا المضمار التنويه بأنها كانت تكبرني سنا بشكل ملحوظ ، وكانت أبدا تمضغ لونا من الزهور لعله عقار•

لقد بلغت بي الحماقة وشدة الصراحة أن أعلنت لها استحالة بقائي مخلصا لها كل الاخلاص، فاندفع غضبها من عقاله• غير أن صراحتي راقت لها بعض الشيء رغم ما فيها • لعلها قالت في نفسها : « انه لا يريد أن يخدعني طالما أنه ينذرني سلفا » • وهذا بالنسبة الى المرأة الغيور أمر جوهري • لذلك فانها بعد أن ذرفت دموعا كثيرة قام بيننا اتفاق شفهي خلاصته أولا : أنني لا يجب أن أهجر مارت بيتروفنا أبدا وأن أظل أبدا زوجها ، ثانيا : أن لا أتغيب دون اذنها وموافقتها ، ثالثا : أن لا تكون لي عشيقة فاتنة جذابة ، رابعا : تسمح لي مارت بيتروفنا بمقابل ذلك أن أغازل الخادمات شريطة أن أعلمها سرا بالأمر ، خامسا : لا ينبغي أن أعشق امرأة من وسطنا ، سادسا وأخيرا : في حال وقوعي فريسة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

بعض العواطف الجدية ــ ولا سمح الله ــ فينبغي علي أن أصارح مارث بيتروفنا بالأمر . ولقد تأكدت مارت بيتروفنا ووثقت بي فيما يتعلق بهذه المادة الأخيرة لأنها كانت امرأة ذكية . لذلك فانها ما كانت تستطيع اعتباري أكثر من فاجر فاسق عاجز عن الوقوع في الحب الصادق. غير أن امرأة ذكية غيورا تساوي اثنتين وهنا المصيبة! ولكي يستطيع المرء أن يحكم على انسان ما بتجرد ، عليه أولا أن يتخلص من بعض آرائه وعاداته اليومية المتخذة ضد أشخاص أو أشياء تحيط به . وانني ألجأ الى حدة ذهنك وبعد نظرك في الحكم . يجوز أنك سمعت كثيرا من الحماقات عزيت الى مارت بيتروفنا ، والحقيقة أنها لم تكن خالية من بعض الشذوذ ، مع ذلك فانني آسف بكل اخلاص ــ ولا أخشى الاعتراف به ــ للأحزان الكثيرة التي سببتها لها . انني أعتقد أن هذا القول كاف ليكون تأبينا مناسبا يليق بأكثر الزوجات حنانا ويصدر عن فم أكثر الأزواج تحنانا .

عندما كان يحصل بيننا شقاق أو شجار ، كنت أسكت معظم الوقت متسلطا على غضبي متخليا عنه ، فكان موقفي النبيل هذا يبلغ دائما غايته . لأن زوجتي كانت تتأثر به بل وكانت ترتضيه ، حتى أنها لم تعدم مناسبات كانت تجد نفسها فخورة بي ، رغم ذلك فانها لم تستطع هضم تلك القصة التي كانت أختك طرفا فيها . أما كيف غامرت باستخدام فتاة على هذا القدر من الجمال كأختك في منزلها كمدرسة ؟ انني لا أستطيع تفسير ذلك ، الا على اعتبار أن مارت بيتروفنا كانت امرأة حساسة شديدة التأثر تعلقت بأختك ــ والحقيقة أنها كانت شديدة التعلق بها . ولما رأيت أفدونيا رومانوفنا ، فهمت للوهلة الأولى أن الأمور ستكون سيئة . لذلك فقد قررت ــ لست أدري اذا كنت تصدق ــ أن لا أرفع عيني اليها . لكن أفدونيا رومانوفنا ــ سواء أصدقت أم لم تصدق ــ قامت بنفسها بالخطوة الأولى . فهل تصدق

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أن مارت بيتروفنا سخطت علي أول الامر لأنني ما كنت أتحدث أبدا الى أختك ، بل كنت أتصرف حيالها بلا مبالاة وأتهكم من كل ما يتعلق بها ؟ انني لم أكن أعرف بعد ما ترمي اليه أفدونيا رومانوفنا . ولا شك أن زوجتي روت لها كل ما تعرفه عني ، لأنها كانت « تتمتع » بخطيئة نقل أسرارنا العائلية والشكوى مني أمام كل الناس . لذلك فانها ما كانت لتتخلى عن مثل تلك الحلبفة الفتانة . أستطيع القول انهما في أحاديثهما ما كانتا تتحدثان الا عني . لذلك فان أفدونيا رومانوفنا كانت ولا شك مطلعة على كل مشاكلي القذرة ، وكل الشائعات التي كانت تروج ضدي ... بل واني أراهن على أن بعض الشائعات قد بلغ مسامعك .

ـ صحيح . فقد أتهمك لوجين بأنك سبب موت طفلة . هل هذا صحيح ؟

أجاب سفيدريكايلوف باشمئزاز :

ـ أرجوك ألا تحرك هذه القذارات . اذا كنت مصرا على معرفة مصادر مثل تلك الشائعات السخيفة فانني على استعداد للافضاء اليك به ذات يوم بمناسبه ... أما الان ...

ـ لقد تحدثوا أيضا عن خادم كان عندك في الريف، وادعوا كذلك أنك كنت سبب بعض الأمور هناك .

قاطعه سفيدريكايلوف ، وقد بدا نافذ الصبر :

ـ أرجوك ، كفى !

تابع راسكولنيكوف بانفعال متزايد :

ـ انه ذلك الخادم الذي رأيت شبحه بعد وفاته يحشو لك ثقليونك ... لقد حدثتني عنه بنفسك .

نظر سفيدريكايلوف الى راسكولنيكوف ، فخيل لهذا أنه طالع في عينيه بريقا خاطفا ينم عن استخفاف وحشي . لكن ذلك البريق لم

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

يدم الا لحظة عابرة استطاع بعدها سفدريكايلوف أن يتمالك نفسه وأن يجيب بلطف جم :

ـ انه هو بالذات • اني أرى أن ذلك يثير اهتمامك اثارة عنيفة، وأعتقد أن من واجبي أن أرضي فضولك هذا في أول فرصة مناسبة تعرض لي • ليحملني الشيطان ! أنني سأصبح شخصية خيالية في أعين بعض الناس • فاحكم بعد هذا اذا كنت لا أدين لمارت بيتروفنا بشكر عميق للقصص التي سردتها على حسابي الى أختك • انني لا أستطيع الحكم على هذه الاحساسات ، لكنني واثق من أن المنشأ كان في مصلحتي• اذ مهما كان اشمئزاز أفدونيا رومانوفنا مني لأسباب معروفة، ورغم لهجتها الصارمة وأساليبي الممقوتة التي تستوجب النفور ، فانني ولا شك أوحيت اليها أخيرا بلون من الحنان ، ذلك الحنان الذي يشعر به حيال رجل ضال • لذلك فان الفتاة التي تشعر بالشفقة في قلبها تكون في تلك اللحظة في خطر جسيم ، لأنها عندئذ تكون مستعدة للتضحية بنفسها « لانقاذ » الشخص الذي تشفق عليه، واقناعه بالمبادىء الحسنة، ومحاولة انتشاله من وهدته لمساعدته على السير في حياد نبيلة • انك ولا شك تتصور نظام الأفكار التي تعرض في مثل هذه المناسبات، لذلك فقد توقعت أن يطير العصفور من تلقاء نفسه ليدخل القفص • وعلى ذلك فقد رحت بدوري أنصب شباكي •

يخيل الي ، يا روديون رومانوفيتش ، أنك تقطب حاجبيك • لا بأس أن تعرف أن القصة قد انتهت أخيرا الى الفشل ••• يجوز أن أكون قد ارتشفت أكثر من طاقتي من الخمرة • لكنني أصر على القول بأني شديد الأسف لأن الاقدار لم تجعل أختك تعيش في القرن الثاني أو الثالث للميلاد في مكان ما « تكون فيه ابنة أمير مالك ، أو ابنة حاكم ما ، أو والٍ من ولاة آسيا الصغرى » • لو أنها خلقت في

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ذلك الحين لكانت واحدة من تلك النسوة اللاتي تعرضن للعذاب ، ولكانت ولا شك ابتسمت للحديد المحمى في النار عندما كان يخترق أحشاءها • بل انها كانت تمضي من تلقاء نفسها الى التعذيب ! ولو أنها عاشت في القرن الرابع أو الخامس لتعمقت في مجاهيل مصر لتعيش ثلاثين عاما تقتات بالجذور والحشائش ، وبالرؤيا والتمجيد والتعظيم • لأنها لا تنتظر ولا تتوق الا الى اللحظة التي تستطيع فيها أن تضحي بنفسها في سبيل شخص ما • بل وانها قادرة على القاء نفسها من النافذة لو أن تلك التضحية منعت عنها •

لقد سمعت حديثا عن سيد اسمه رازوميخين، وقد قيل لي انه شاب متعقل كما يستنتج من اسمه ، وأنه ولا شك متخرج من مدرسه اكليريكية (١) • حسنا ، ليسهر اذن على أختك ! الخلاصة ، أعتقد أنني فهمت عقلية أفدوتيا رومانوفنا • وانني أشد بها • لكنك تقرني على أن الانسان لما يجهل نفسه شخص ما تكون له به بعض العلاقات فانه يسهل عليه ارتكاب بعض الخطيئات بل وبعض العشرات• ثم ــ يا للشيطان ــ لم هي جميلة الى هذا الحد ؟ انها ليست خطيئتي ! وبكلمة واحدة ، أقول : انني شعرت بميل وعواطف لا يمكن مقاومتها • ان أفدوتيا رومانوفنا ذات خصر فريد لا يصدق• انني أقول ذلك ــ وأرجو أن تلاحظ ــ على اعتباره واقعة ملموسة • لأن أختك شديدة التمسك بالاحتشام لدرجة مرضية رغم عقلها النير •

كان لدينا في تلك الاثناء خادمة وهي فتاة اسمها باراشا وكنا ندعوها السمراء باراشا ذات العينين السوداوين ، جئنا بها من قرية مجاورة • لم أكن قد شاهدتها حتى تلك اللحظة لأن الفرصة لم تسنح

---

(١) ان اساس كلمة رازوميخين مشتق من كلمة رازوم اي العقل ، مما يدل على ان صاحبه ينحدر من اسرة اكليريكية « هذا التفسير وارد في الترجمة الفرنسية » .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لي .. كانت جميلة جدا ولكن حمقاء جدا لدرجة لا يتصورها العقل . وذات مرة غرقت في دموعها وراحت تملأ الباحة بالصياح والعويل حتى تنجت عن ذلك فضيحة . وذات يوم ، بعد طعام الغداء ، تدبرت أفدوتيا أمرها حيث لاقتني في أحد ممرات البستان ، فأصرت علي وعيناها تلتمعان أن أترك الخادمة المسكينة باراشا بسلام . كانت تلك هي المرة الأولى التي تحدثت بها معها على انفراد .. فلما أنهت الي رغبتها اعتبرت ولا شك أن تنفيذ تلك الرغبة شرف لي ، وكنت أسعى للظهور أمامها بمظهر المتهيب المضطرب . وبالايجاز أقول انني عرفت كيف أمثل دوري . واعتبارا من تلك اللحظة رحنا نلتقي معا فتقوم هي باسداء المواعظ سرا وتلقنني دروسا في الأخلاق بل وتوصيني وتتوسل الي وأحيانا تبكي أمامي — هل تصدق ؟ — نعم أحيانا تبكي أمامي ! ذلك هو الحد الذي تذهب اليه بعض الفتيات اللاتي يشعرن بميل للدعاية والتثقيف ؟ ولا شك أنني كذلك كنت أعزو كل خطيئاتي للقدر، وأبدو بمظهر المتعطش للمعرفة والنور ، فرحت أمارس أسلوبا رائعا لا يخطىء أبدا ، يوصلني دائما الى قلب النساء ! أسلوبا لا يخدع أحدا ، ولكنه مع ذلك ، ينجح عند كل النساء بلا استثناء . ذلك الأسلوب هو الاطراء والمديح .. لا شيء في الحياة أصعب من ممارسة الاخلاص باخلاص، وعلى النقيض ، فان لا شيء أسهل من استثمار المديح ! لأن الاخلاص اذا اعتراه صدفة أي خطأ أو خيانة مهما كانت تافهة ، فانه يكون شديد الوضوح سريع الاكتشاف فتعقبه ... فضيحة . أما في المديح ، فانه ولو كان كله خطأ من أوله الى آخره ، فان ذلك لا يقلل من شأنه ، لأن الناس يصغون اليه دائما بسرور . وقد يكون ذلك السرور غير عنيف أو ظاهر ، ولكنه على كل حال سرور ولا شك . ومهما كان المديح كاذبا ممجوجا ، فان نصفه على الاقل يروق لصاحب العلاقة . والأمر كذلك في كل طبقات المجتمع . ان الانسان قادر على اغواء كاهنة متزمتة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

بالمديح وعدم التعرض للحديث عن آثام الانسان الفاني ، ولا أستطيع أن أذكر دون أن أضحك كيف أنني ذات يوم أعويت امرأة شديدة الاخلاص لزوجها ولأولادها ، شديدة التمسك بالمبادىء والاخلاق . لقد كان الأمر مضحكا شديد السهولة ! مع ذلك فان تلك السيدة كانت فاضلة تماما حسب وجهة نظرها على الاقل . لقد كان أسلوبي حيالها يتلخص في الظهور أمامها بمظهر المذهول لفضائلها ، العابد لطهرها ، وكنت أطريها وأمتدحها بشكل وقح ، فما كنت أفوز منها بنظرة ، أو بضغطة خفيفة على يدي ، حتى كنت ألوم نفسي أمامها بأنني انتزعت تلك الحركة منها انتزاعا ، معترفا بأنها مانعت فيها واعترضت عليها ، وأنها أظهرت مقاومة شديدة كان من جرائها أنني ما كنت أستطيع الحصول على ما اسميه لولا أن كنت فاسدا . لأنها بطهرها وبراءتها لم تستطع اكتشاف نواياي الخبيثة ، فتركت نفسها تنقاد ببراءة دون أن يكون لديها أي شك ... الخ الخ ... والخلاصة أنني بلغت ما كنت أريد ، ولبثت تلك السيدة مقتنعة بأنها لا زالت عفيفة طاهرة تقوم بواجباتها وخدماتها كاملة ، وانها لم تخطىء الا بمحض الصدفة . لذلك فقد بلغ سخطها مبلغا جسيما ، عندما أعلنت لها ــ وتلك هي عادتي أبدا ــ بأنها بدورها كانت تبحث عن اللذة مثلي تماما .

كانت مارت بيتروفنا نفسها شديدة الاستسلام للمديح . كنت أستطيع ــ لو شئت ــ أن أجعلها تهبني كل ممتلكاتها وهي على قيد الحياة . لكن ماذا دهاني ؟ انني لا أكف عن الشراب والثرثرة !... حسنا ... أعتقد أنك لن تغضب اذا ذكرت لك الآن أن تلك التأثيرات نفسها بدأت تتسلط على أفدونيا رومانوفنا . لكنني أفسدت المسألة كلها بحماقتي ونفاذ صبري . فقد حدث أكثر من مرة خلال مقابلاتي مع أفدونيا رومانوفنا ــ وأخص بالذكر لقاء معينا ــ أن كان بريق نظراتي يزعجها بشكل فظيع . فهل تصدق ؟ لقد كانت نظراتي تشع

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

بنار الشهوة التي كانت تزداد وقاحة والتي كانت تراها شديدة البشاعة. وغني عن الذكر أن مشاحناتنا ومشاجراتنا حول هذا الموضوع كانت لا تنتهي • لقد ارتكبت في هذا المضمار خطيئة اثر خطيئة • اذ رحت أهزأ بشكل قبيح جدا من كل أساليبها ودعايتها ! وبكلمة واحدة فان المنزل كله أضحى أشبه بمدينة سودوم التي أحرقها الله بناره لفجور سكانها. أوه ! لو انك رأيت مرة يا روديون رومانوفيتش عيني أخيك ، لعرفت اذن ما تستطيعان بعثه من وميض ! لا يهمني أن أكون ثملا في هذه اللحظة وأن أكون قد احتسيت كأسا كاملة من الخمرة ، غير أن ما أقوله هو الحقيقة • أؤكد لك أن نظراتها كانت تلاحقني حتى في نومي. وأخيرا ما عدت أستطيع احتمال حفيف ثوبها • بلغ بي التصور أنني سأصبح ضحية نوبات قلبية ، اذ ما كنت أعتقد أنني سأكون يوما في مثل تلك الحالة من الشغف والتدله • لذلك وجدت أن الواجب يدعوني الى التقدم بمصالحة واعتذار • تصور ماذا عملت • والى أي سخف وشذوذ يقود الغضب الرجل ! اياك يا روديون رومانوفيتش أن تعمل شيئا تحت تأثير الغضب • كنت أعرف أن أفدونا رومانوفنا معدمة ــ آه ! اعذرني ••• ما كنت أريد ••• لكن ماذا يهم البحث عن تعبير اخر في هذا المعنى ؟ وأنها كانت تعيش من الكدح وتعول أمها وأخاها ــ آه ! يا للشيطان ! انك تبدي نفورك مرة أخرى ــ فقررت أن أقدم لها كل المال الذي أملكه ــ وكنت أستطيع امتلاك ثلاثين ألف روبل ــ لأغريها على الفرار معي حتى ولو الى بطرسبورغ • وبالطبع فانني كنت حال بلوغي معها الى هنا سأقسم لها مؤكدا حبي الأبدي ، والسعادة ، ولست أدري ماذا أيضا • لعلك تصدقني اذا قلت انني كنت شديد الاغتباط • حتى أنها لو طلبت مني ذبح مارت بيتروفنا أو قتلها بالسم للزواج منها لما ترددت عن تنفيذ طلبها على الفور ! لكن الامر كله انتهى بالكارثة التي تعرفها • ومع ذلك فانك تستطيع الحكم على مبلغ الغضب الذي تغلبت

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

عليه ، حينما علمت أن مارت بيتروفنا قد أعدت ذلك البخيف الكريه لوجين ، وراحت تحيك فكرة زواجه من أفدونيا رومانوفنا ، الأمر الذي لم يكن يختلف في كثير أو قليل عن عروضي التي تقدمت بها بنفسي الى أفدونيا رومانوفنا . ألست من هذا الرأي ؟ أليس هذا صحيحا ؟ انني ألاحظ أنك تصغي الي بانتباه عظيم ... أيها الشاب المغري !...

استولى نفاذ الصبر على سفيدريكايلوف فضرب المائدة بقبضة يده وغدا وجهه شديد الانفعال . لاحظ راسكولنيكوف أن القدح الاول ونصف الثاني من الشامبانيا التي احتساها سفيدريكايلوف بجرعات صغيرة بدأت تعطي مفعولها المدمر . لذلك قرر استغلال هذه الفرصة لأنه كان يشعر بوجوب الحذر الشديد من هذا الرجل الذي يقارعه.

قال راسكولنيكوف فجأة متوخيا احراج محدثه :

ـ حسنا . انني واثق بعد كل هذا أنك ما جئت الى بطرسبورغ الا وفي رأسك نوايا معينة تتعلق بأختي .

أجاب سفيدريكايلوف ، وهو يحاول السيطرة على نفسه :

ـ دعك من هذا ! ألم أحدثك ؟.. ان أختك لا يمكن أن تثيرني وتجعلني دائم التفكير فيها .

ـ أوه لا شك ! انني واثق من ذلك، لكن الأمر لايتعلق بهذه الناحية .

غمز سفيدريكايلوف بعينه وضحك متهكما :

ـ انك متأكد اذن من أن أختك لا تثيرني ! انك على صواب فهي لا تحبني . لكن يجدر بك أن تركن كثيرا الى ما يحدث بين الزوج وزوجته ، والعاشق وخليلته ، لأن هناك دائما زاوية يجهلها الناس ولا يعرفها الا هما . هل تجيب أن أفدونيا كانت تنظر الي بتقزز ونفور ؟

ـ ألاحظ من بعض كلمات وتوريات في حديثك أنك تغذي في

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

نفسك بعض النوايا حيال دونيا وأنه لا يمكنك التجاوز عنها ، ولا شك أنها نوايا سيئة قذرة .

سأل سفيدريكايلوف وقد اعتراه خوف بريء دون أن يبالي بالصفه التي وصفت بها نواياه :

ـ ماذا ؟ هل أفلت مثل تلك الكلمات والنوريات ؟

ـ نعم لقد ظهرت منذ حين . ثم لماذا روعت فجأة ؟ كيف تشعر بمثل هذه الخشية ؟

ـ أنا خائف ؟ أنا مروع ؟ أنا أخاف منك ؟ بل انني أخاف من نفسي ، يا صديقي العزيز . يا لها من كلمات !.. لا تنسَ أنني ثمل قليلا . انني أشعر بذلك . ولو اندفعت قليلا لارتكبت شططا . ليذهب الخمر الى الشيطان ! اه ! أريد ماء !

ثم أخذ الزجاجة وألقى بها من النافذة بكل بساطة . وجاءه فيليب بالماء .

أردف سفيدريكايلوف ، وهو يبلل منشفته في الماء ويضعها على رأسه :

ـ ان كل هذا ليس الا حماقات . انني أستطيع بكلمة واحدة أن أبدد ظنونك وأمضي شكوكك . أتدري مثلا انني عازم على الزواج ؟

ـ لقد أخبرتني بذلك من قبل .

ـ أخبرتك به ؟ لقد نسيت . لكنني ما كنت أستطيع أن أقرر لك هذا الامر بكل تأكيد لأنني لم أكن قد شاهدت بعد خطيبتي . فالأمر اذن كان مجرد مشروع . أما الآن فان خطيبتي موجودة والأمر منته . ولولا أنني مرتبط بأعمال مستعجلة في الوقت الحاضر لدعوتك لتصحبني الى منزلها لأنني سأحتاج الى نصائحك . يا للشيطان ! لم يبقَ الا عشر دقائق . خذ ، أنظر الى ساعتي . على كل حال سوف أقص عليك الخبر .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ان زواجي أمر غريب في نوعه • لكن الى أين تذهب ؟ هل تريد أن تذهب من جديد ؟

ـ كلا ، لن أذهب الآن •

ـ لن تعاود الذهاب ؟ حسنا • سنرى ! لسوف أصحبك الى هناك لأريك خطيبتي ، ولكن ليس الآن • اذ يجب أن أرتحل الان ، فتمضي أنت الى اليمين وأمضي أنا الى اليسار • هل تعرف ريسليش ؟ تلك التي أقطن عندها في الوقت الحاضر ؟ لعلك سمعت شيئا عنها ؟ انها تلك المرأة التي قيل انها تسببت في القاء فتاة صغيرة الى الماء في صميم الشتاء؟ هيا ، ألا تعرفها ؟ لعمري انها هي التي قالت لي : « لا شك أنك ستشعر بضيق شديد ببقائك منفردا ، وانك بالزواج ستمضي وقتا جميلا » ! والحقيقة أنني رجل كئيب المزاج حزينه • هل تظنني مرحا ؟ أبدا • انني حزين لا أسيء الى أحد • لكنني أقبع في زاويتي • وقد وقع لي مرة أنني لم أتذوق طعاما طيلة ثلاثة أيام متعاقبة • أما ريسليش الخليعة فان لها رأيها الذي أحب اظهاره فورا • فهي تعتقد أنني سأضيق ذرعا بزوجتي وأنني سأهجرها وألوذ بالفرار فتبقى المرأة لها • وعندئذ تستثمرها بتقديمها الى أشخاص من طرازنا ، بل ولعلها تقدمها الى من هم أرفع منا شأنا • لقد أخبرتني أن أبا الفتاة موظف قديم مريض لم يبارح مقعده منذ ثلاث سنوات لأنه مصاب بشلل في ساقيه ، أما أمها فسيدة ذكية ، لها ابن يشتغل في مكان ما بالأقاليم لكنه لا يساعد ذويه، ولها أيضا فتاة متزوجة لا تعرف مصيرها • وكأن عدد أفراد الاسرة لم يكن كافيا • اذ أنهم تعهدوا كذلك اطعام اثنين من أبناء أخت الأم• لقد تركت الفتاة التي سأتزوجها المدرسة قبل اتمام دروسها ، وستنهي السادسة عشرة من عمرها بعد شهر ، وعلى ذلك فاننا سنستطيع الزواج بعد انقضاء هذا الشهر • ثم انهم يعولون علي كثيرا •

ذهبنا لرؤية هؤلاء الناس وكان ذلك مضحكا ! لقد قدمت نفسي

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كما يلي : ملاك ، أرمل ، من عائلة طيبة ، ثري ، ذو علاقـات ممتازة ! فماذا يهم بعد كل هذا أن أكون في الخمسين من عمري وأن تكون هي في السادسة عشرة ؟ من ذا الذي يلتفت الى مثل هـذا الفرق ؟ هيا ، ألست غنيمة طيبة بالنسبة اليهم ؟ بل انني صفقة ممتازة ... ها ها ! ليتك رأيتني أتكلم مع بابا وماما ! أؤكد لك أن رؤية ذلك كان يستوجب التضحية ! اذ جاءت الفتاة وانحنت باحترام . تصور أنها لا زالت ترتدي أثوابا قصيرة ـ لأنها لا تزال برعما صغيرا لم يتفتح بعد ـ وقد احمر وجهها خجلا . ولا شك أن الدرس كان قد لقن لها من قبل . لست أدري ما هو رأيك حول وجوه النساء ، أما أنا فانني أجد تلك السنين الست عشرة وتنك العينين الصغيرتين المفعمتين بالطفولة وذلك الخجل ودموع الاحتشام تساوي عندي أكثر من الجمال ، فكيف اذا كانت بعد كل ذلك جميلة كالصورة . ان لها شعرا أشقر ناعما مقسما الى خصل صغيرة ، وشفتين غليظتين حمراوين وقدمين صغيرتين ... انها فتانة !. أعلنت ـ بعد أن تعرفت اليها ـ أنني مرغم على استعجال الأمور بسبب أعمال عائلية . وفي اليوم التالي ، أعني أول أمس ، تمت خطوبتنا . ومنذ ذلك الحين ، أجلسها على ركبتي كلما حضرت ولا أدعها أبدا ... انها تكسف الشمس ! انني أعانقها وأقبلها في فمها . ولا شك أن أمها تفهمها أن لا بأس في ذلك طالما أنني زوجها . والخلاصة أنها لؤلؤة ! ان حالة الخطيب أجمل ولا شك وأدعى الى الراحة من حالة الزواج ! لأن فيها كما يسمى : الطبيعة والحقيقة . ها ! ها ! لقد تحدثت مرتين معها فوجدت أنها متوقدة الفؤاد . انها تختلس أحيانا النظر الي ... فاذا بي أحترق كعود الثقاب . ان لها وجها يشبه صورة عذراء رافائيل «مادونا» .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ألم تلاحظ أن لـ « مادونة سيكستين (١) » وجها يعبر عن حزن غير طبيعي ؟ اذن ان فتاتي مثلها . لقد قدمت لها في اليوم التالي من خطوبتنا هدايا قيمتها ألف وخمسمائة روبل بينها حلية من ألماس وأخرى من اللؤلؤ ولوازم زينة من الفضة كبيرة الحجم مع كل ضرورياتها وكمالياتها. حتى أن وجه مادونتي أشرق من الاغتباط . وقد أجلستها البارحة على ركبتي دون مقدمات ولا كلفة حتى أنها غدت بلون الأقحوان ، وانبعثت الدموع من عينيها انبعاثا . انها لم تكن تريد الكشف عن نفسها رغم أنها بالنسبة الي نار ولهب . كان ذووها جميعهم قد خرجوا لحظة، فبقينا وحدنا هي وأنا . وفجأة أحاطت عنقي بذراعيها الصغيرين ــ وقد فعلت ذلك من تلقاء نفسها وللمرة الاولى ــ وعانقتني وهي تقسم أنها ستكون لي زوجة طيبة مطيعة مخلصة وانها ستسعدني وستكرس لي كل حياتها ، وكل لحظة من لحظات وجودها دون أن تطالبني مقابل ذلك الا بشيء واحد ، ألا وهو تقديري لها ولا أكثر . لقد أعربت لي أنها لا تريد الا ذلك التقدير وأنها لا حاجة بها الى الهدايا ! أرجو أن تعترف معي أن الاستماع الى هذا التصريح في جلسة خاصة جمعت بين كلينا يتفوه به ذلك الملاك المرتدي ثوبا خفيفا من الحرير ، والذي تحجب جبهته خصلات من الشعر الاشقر الناعم المتمرد ، وخداه بلون قرمزي من الخفر ، بينما تلتمع دموع الحماسة في عينيه ، أعترف أن كل ذلك شديد الجاذبية . ألا تعتقد أن كلمة « شديد الجاذبية » هي أصلح ما يستعمل في هذا المقام ؟ انها تساوي كثيرا ، أليس كذلك ؟ حسنا ... سنذهب يوما لرؤية خطيبتي ولكن ليس الان .

ــ على العموم ان ذلك الفارق الفظيع بالسن والثقافة أدعى

---

(١) سيكستين : كنيسة شهيرة من كنائس الفاتيكان بنيت في عهد البابا سيكست الرابع وبناء على امره . وقد زينت بصور زيتية اشهرها لميكيل آنج تمثل مواقف دينية عديدة منذ خلق الطبيعة حتى يوم الحساب ــ المترجم ــ

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لتحريض شهوانك . هل من المعقول أن تفكر حقيقة في ابرام زواج في مثل هذه الشروط ؟

ـ ولمَ لا ؟ لا شك . ان كل انسان يجب أن يعيش حياته . ومن يحسن خداع نفسه يعيش أحسن من سواه . ها ! ها ! يا الله ما أسرع ما أصبحت رجلا فاضلا ! ارحمني يا عزيزي لأنني مخطىء . أنا ... هيه هيه هيه !

ـ مع ذلك فقد عنيت بأطفال كاترين ايفانوفنا . ثم انك لا تعمل شيئا دون مسببات ... انني أفهم كل شيء الآن .

أجاب سفيدريكايلوف ، وهو ينفجر ضاحكا :

ـ على العموم انني أحب الاطفال حبا جما . وأستطيع أن أفض عليك فصلا من ذلك الحب لا زال قائما حتى الآن . منذ اليوم الاول من وصولي تهافتُّ على كل البؤر والمواخير في هذا البلد ... لا شك أنك تفهمني . لأنني منذ سبع سنين لم أطأ واحدة منها بقدمي . ولعلك لاحظت ولا شك فتوري في ربط صلات جديدة مع أصدقائي القدماء. انني أنفر منهم كما أنفر من الطاعون. ألا فاعلم أنني عندما كنت أعيش في الريف مع مارت بيتروفنا كنت أشعر بحنين شديد الى هذه الاماكن السرية حيث يجد العقل النيِّر فيها كثيرا مما يثقفه ويزيد في معلوماته. ليحملني الشيطان ! ان الشعب كله قد استسلم للسكر . والشبيبة المثقفة تتعفن من قلة الحركة ، وهي سابحة في أحلام وخيالات مستحيلة الوقوع ، بعد أن أغلظت النظريات الأحاسيس والشعور ، بينما يهرع اليهود من كل مكان فيستولون على المال تاركين المواطنين أصحاب البلد غارقين في فجورهم ودعاراتهم . كذلك عرفت هذه المدينة من رائحتها . وذات ليلة وجدتني في واحد من تلك الحفلات الراقصة التي يطلقون عليها اسم : حفلات عائلية ، بينما هي دنس في بيوت دعارة ـ انني أميل الى مثل هذه البؤر خصوصا اذا كان فيها كثير من القذارة.

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لا شك أنهم كانوا يرقصون هناك رقصات غريبه لا يرى المرء مثلها الا هناك • رقصات لم أشهد مثلها في شبابي • صحيح أن هناك تقدما في هذا المضمار • وفجأة شاهدت فتاة في الثالثة عشرة من عمرها مرتديـة ألبسة لطيفة ترقص مع راقص حاذق محترف يقوم بدور الرفيق لها • كانت أمس تجلس قرب الجدار • انك تستطيع تخيل هذه الراقصـة ! كانت الفتاة الصغيرة مرتبكة محمرة الوجه وكأنها أهينت في كرامتها ، فقد انفجرت باكية • أما المحترف فقد راح يتلقفها في الهواء ويدربها ، وهو يقوم بحركات مضحكة جعلت النظارة يفجرون بالضحك ! انني أحب مواطنينا في مثل هذه المواقف حتى في مثل تلك المواخير • لأنهم يضجون ويضحكون ويصخبون ويصرخون • وأنا لا يهمني من أمرهم أن يتمتعوا بهذه الحقوق المنطقية ! أدركت فورا ماذا يجب علي عمله ، وسرعان ما جلست قرب الأم ، وبدأت أخبرها أنني أنا الآخر لست من بطرسبورغ وأن كل هؤلاء المجتمعين كانوا أشخاصا فظين خشنين لا يستطيعون التمييز بين الغث والثمين ، وألمحت لها بأنني عظيم الثراء• ثم دعوتها الى عربتي أنقلها فيها الى حيث تشاء • وهكـذا كان • اذ أوصلتها الى مسكنها وعرفت مكانه وموقعه ــ كان مسكنا مؤثثا مزعجا سيء السمعة نزلت فيه مع ابنتها ــ وأخبرتني أنها تعتقد وابنتها أن تعرفهما بي ليس الا شرفا لهما • عرفت أنهما لا تمتلكان شروى نقيـر وأنهما جاءتا الى بطرسبورغ للسعي لـدى لست أدري أية مصلحـة حكومية ، فقدمت لهما خدماتي ومالي وعرفت أنهما وقعتا خطأ تـلك الليلة في تلك البؤرة لأنهما أعتقدتا أنها حفلة راقصه حقيقية تستطيع الفتاة الصغيرة أن تتعلم فيها شيئا من الرقص • فعرضت عليها الأمكنة التي أعرفها لتثابر ابنتها على تعلم الرقص فيها ، وتتعلم اللغة الفرنسية الى جانب الرقص • فقبلتا حماسي واعتبرتا كل ذلك شرفا حقيقيا ولا

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

زالت علاقاتنا قائمة . انني أستطيع أن أمضي بك اليهما . ولكن ليس الآن .

ـ كفى ! لقد كفاني ما سمعت من قصصك القذرة ، أيها الفاجر القذر !

ـ ها هو ذا شيلر ، « شيلرنا » ! هل تصدق أنني أجد رغبة في الاستمرار في سرد مثل هذه القصص لأصغي الى استنكارك وصياحك . انه سرور حقيقي !

غمغم راسكولنيكوف :

ـ لست أشك في ذلك . أو لست أنا بنفسي شاذا بنظري في هذه اللحظة ؟

ضحك سفيدريكايلوف بانشراح ملء حنجرته . ثم نادى فيليب وسوى حسابه ثم وقف يريد الانسحاب ، وهو يقول :

ـ لقد تحدثنا بما فيه الكفاية . لكنني ثمل ... كنت سعيدا جدا بمحالستك !

هتف راسكولنيكوف ، وهو ينهض بدوره :

ـ طبعا . ولمَ لا تكون سعيدا ! ان سرد مثل هذه المغامرات بالنسبة لفاجر كريه مثلك لا زال يغذي أفكارا من هذا النوع ، يعتبر سرورا حقا خصوصا في ظروف معينة، وأمام شخص مثلي . ان ذلك يبهجك !

أجاب سفيدريكايلوف بدهشة :

ـ لعمري اذا كنت تعتبر الأمر كذلك، فانك ماجن جميل حقا ! انك على استعداد لتدبير بعض الامور بل وتنفيذها أيضا . ان هذا يكفي . انني آسف بكل اخلاص اذا كان لقاؤنا قصيرا على هذا الشكل ، ولكنني أرجو أن لا تتركني هكذا ... انتظر قليلا ...

خرج سفيدريكايلوف من المشرب يتبعه راسكولنيكوف . ثم

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

يكن سفيدريكايلوف شديد الثمل بل كان يشعر بدوار بسيط تخلص منه على الفور • كان يبدو مشغول البال بشيء ما ، شيء عاجل جـدا كان يزعجه • كان ولا شك فريسة قلق ما • ولم يفت راسكولنيكوف أن سفيدريكايلوف قد غير لهجته معه منذ بعض الزمن ، وأنه كان يبدو سمجا مستهزئا أكثر فأكثر • لذلك فقد شعر بشيء وراءه وقرر تعقبه•

لحق به على الرصيف فقال هذا :

ـ ستمضي الى اليمين وأمضي الى اليسار الا اذا كان الأمر على عكس ذلك • الوداع يا « سروري » • يسرني لقاؤك•

واتجه الى اليمين من ناحية سوق العلف •

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

٥

تأثر راسكولنيكوف خطاه فالتفت سفيدريكايلوف اليه ، وهتف:

ـ ما معنى هذا ؟ أعتقد أنني أخبرتك ...

ـ ما ... ذا ؟

توقف كلاهما وراح كل منهما يحدق في وجه الآخر وكأنهما يزنان بعضهما بعضا ودام الموقف دقيقة .

قال راسكولنيكوف بلهجة حاسمة :

ـ بعد كل القصص التي سردتها عليّ وأنت نصف ثمل ، فانني أعتقد أنك لم تهمل مشاريعك الدنيئة حيال أختي فحسب ، بل انها ازدادت أكثر من أي وقت مضى . انني أعرف أن أختي تلقت هذا الصباح رسالة . أرى أنك بدأت تضطرب . يجوز مع ذلك أن تكون قد اكتشفت امرأة أخرى ، غير أنني أرغب في أن أتأكد من الأمر بنفسي .

كان راسكولنيكوف شديد الارتباك لأنه اضطر الى الافصاح عن رغبته في التأكد شخصيا من هذا الأمر :

ـ آه ! هكذا اذن ! هل تريد أن أستعين بالبوليس ؟

ـ ادعُ البوليس !

ووقفا من جديد وجها الى وجه . ولما رأى سفيدريكايلوف أن راسكولنيكوف لم يعبأ بتهديده تبدلت أسارير وجهه لحظة ، وراح يتحدث بلهجة ودية كلها تشابه :

ـ هذه هي عقليتك ! لقد تعمدت ألا أحدثك عن قضيتك رغم أن

CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الفضول ينهش فؤادي ؟ انها قضية خيالية ! كنت أريد ارجاءها الى مرة أخرى لكنك تستطيع أن تستفز شعور الميت ... حسنا ، هيا ! لكنني أخطرك بأنني مضطر الى العروج على منزلي لآخذ بعض المال . ثم سأغلق الباب بالمفتاح وأقفز الى عربة تحملني الى الجزر حيث سأقضي المساء . فلِمَ اذن تتبعني .

ـ ان لي ما أعمله كذلك في البيت على كل حال فانني لا أقصد منزلك . بل منزل صوفي سيميونوفنا لأعتذر اليها عن عدم حضوري تشييع جثمان أمها .

ـ كما يحلو لك . لكن صوفي سيميونوفنا ليست في البيت . لأنها ذهبت تقود الأولاد الثلاثه الى سيدة عجوز ، سيدة أعرفها منذ زمن بعيد ، ترأس الآن أحد المياتم . لقد أعربت هذه السيدة عن ابتهاجها بوضع الأطفال تحت اشرافها عندما قدمت لها المال الذي حدثتك عنه باسم أطفال كاترين ايفانوفنا ، الى جانب مبلغ آخر وهبته للمؤسسة. لقد قصصت عليها قصة صوفي سيميونوفنا دون أن أخفي عنها حرفا واحدا منها . فأحدثت في نفسها أثرا لا يمكن وصفه . لهذا السبب دعيت صوفي سيميونوفنا اليوم للمثول في الفندق أمام السيدة المذكورة التي نزلت هناك مؤقتا عند عودتها من الاصطياف .

ـ ليكن . سأذهب مع ذلك ؟

ـ كما تشاء . لسوف أصحبك لأن لا عمل لي هناك ! ها قد وصلنا . انني واثق من أنك اذا كنت تنظر الي بمثل هذه النظرية المرتابة فما ذلك الا لأنني تلطفت معك ، فما أردت اقلاقك وارهاقك بالأسئلة، هل تسمعني ؟ أراهن على أن هذا التصرف من قبلي بدا لك شاذا غريبا! فكن اذن رقيقا بعد هذا .

ـ أنت يا من تسترق السمع وراء الأبواب !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فقال سفيدريكايلوف ، بعد أن أطلق ضحكة مرحة :

ـ آه ! لنقل ! لقد أدهشني أن لا تكون قد أبديت هذه الملاحظة من قبل ! على الرغم من أنني أعرف تنفا عن ... مشاكلك هنـاك كما رويتها لصوفي سيميونوفنا ، فانني مع ذلـك لم أصـل الى حقيقتهـا الأخيرة . لا شك انني رجل متأخر رجعي عـاجز عن فهـم أي شيء . لذلك أرجو أن تفسر لي الأمر ، يا عزيزي . بحق السماء أعلمني .

ـ انك تكذب ، ما كان يمكنك سماع شيء !

ـ الله ! انني لا أحدثك عن هذا ـ بصرف النظر عن أن أكـون قد سمعت كل شيء ـ كلا انني أهدف الى زمجراتك الأبدية ! ذلـك الـ « شيلر » الذي يقلقك في كل لحظة . انك اذا كنت لا زلت هنا فان ذلك يعادل عندي الذهاب الى قسم البوليس والادلاء بأنه قد وقع لك كذا وكذا . انه مجرد خطأ في النظرية . فاذا كنت تعتقد أنه لا يحق للمرء الاستماع وراء الأبواب ، وأنه مع ذلك يستطيع ذبح النسـاء الطيبات اللاتي يقعن تحت يده ، فهو لعمـري غريب . ارتحـل الى أمريكا أو الى حيث تشاء ! أسرع ، أيها الشاب ! لا زال الوقت مناسبا . انني أتحدث اليك باخلاص . واذا كنت لا تملك مالا فانني أمنحـك نفقات السفر .

قاطعه راسكولنيكوف باشمئزاز :

ـ انني لا أفكر مطلقا في هذا .

ـ انني أفهم ! على كل حال لا تزعج نفسك لأنك اذا كنت لا تريد الكلام فمن العبث أن نستهلك لعابنا . انني أفهم أن هناك أسئلة تجول في رأسك ، وأنها أسئلة أخلاقية . أليس كذلك ؟ من ذلك النوع ذي المساس بالرجل ، بالمواطن ؟ دع هذه الاسئلة جانبا . لم تفكر فيها في هذه اللحظة . هه هه !؟ ألا زلت تفكر في الرجل وفي المواطن ؟ في

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

مثل هذه الحال ما كان ينبغي لك أن تحشر نفسك في مأزق كهذا. أطلق على رأسك الرصاص . ألم تفكر في هذا ذات مرة ؟

ـ انك تحاول كما يبدو لي ازعاجي بكل الوسائل لأبتعد عنك في هذه اللحظة .

ـ ما أسخف تفكيرك ! لكننا قد وصلنا. ها هو ذا السلم، لنصعد أرجوك . أنظر ، ها هو ذا مدخل صوفي سيميونوفنا . ألا ترى أن المسكن خال ! ألا تصدق ؟ سل آل كابيرناوووموف ، انها تترك مفتاحها لديهم . هه. هذه هي السيدة كابيرناوووموف . هم ؟ ماذا ؟ ـ انها صماء قليلا ـ خرجت صوفي ايفانوفنا ؟ أين ذهبت ؟ حسنا . هل تأكدت الآن ؟ انها غير موجودة ويجوز أن لا تعود الا متأخرة . والآن تعال الى مسكني لأنك ولا شك تريد أن تدخل اليه . ها نحن أولاء . أن السيدة ريسليش ليست في المسكن . ان هذه المرأة لا تني تتحرك ، لكنها سيدة باسلة وأؤكد لك ... يمكنها أن تكون نافعة لك اذا بدوت أكثر تعقلا . ألا ترى ؟ انني آخذ من مكتبي هذا المبلغ ـ أنظر كم بقي لدي من المال ـ أما هذا فلسوف أنفقه اليوم . هيا ، هل رأيت؟ لا وقت لدي أضيعه ! انني أغلق مكتبي وأغلق باب المسكن وها نحن أولاء على السلم . أتريد أن تستقل عربة ؟ انني ذاهب الى الجزر . هل يعجبك أن تقوم بجولة في العربة ؟ خذ . لسوف أستقل هذه وأسأل السائق أن يقودني الى رأس « ابيلاغين » . هل ترفض ؟ هل أنت تعب ؟ هيا لنقم بجولة معا ! انني أعتقد أن المطر على وشك الهطول . لكن لا بأس . لسوف نرفع غطاء العربة .

كان سفيدريكايلوف في تلك اللحظة جالسا في العربة يتحدث، فاقتنع راسكولنيكوف بأن ظنونه كانت ـ على الاقل في تلك اللحظة ـ خاطئة . فاستدار على عقبيه ومضى دون أن ينطق بكلمة . لكنه

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

استطاع أن يرى سفيدريكايلوف يستوقف العربة بعد مائة خطوة فيدفع للسائق أجرة ثم يسير على الرصيف • لكنه لم يكن يشك في شيء • لذلك سرعان ما انعطف عند زاوية الشارع • كان يشعر بنقزز ينفره من سفيدريكايلوف • كان يهتف دون تعمد : « يا للقذر النذل ! كيف استطعت الاصغاء الى ترهات هذا البغيض! » والحقيقة أن راسكولنيكوف كان متعجلا في حكمه ضد سفيدريكايلوف فكان حكمه طائشا ، اذ أن تصرف سفيدريكايلوف كان يوحي اليه بشيء من الغرابة اذا لم نقل من الغموض • وكان راسكولنيكوف مؤمنا بأنه لن يترك أخته بسلام، لكن هذا الشعور كان يؤلمه ويزعجه مجرد التفكير فيه في تلك اللحظة•

وعلى جري عادته ، استغرق ــ بعد أن قطع عشرين خطوة ــ في تفكير عميق • ولما بلغ الجسر ، توقف أمام الحاجز وراح يتأمل الماء بينما كانت أفدونيا رومانوفنا تتابعه ببصرها •

كان قد مر بها عند مدخل الجسر دون أن ينظر اليها ، وكانت هذه هي المرة الاولى التي تلتقي به دونيا في الشارع على ذلك الشكل• لذلك فقد هصرت الدهشة قلبها • فلبثت واقفة مشدوهة بدورها لا تعرف اذا كان ينبغي لها أن تناديه أم لا • وفجأة رأت سفيدريكايلوف آتيا بسرعة من جهة « سوق العلف »

كان يبدو على هذا الاخير أنه يتقدم بحذر وحيطة لأنه لم يتجه مباشرة نحو الجسر ، بل توقف على الرصيف منتحيا جانبا محاولا عدم اجتذاب انتباه راسكولنيكوف • كان منذ بعض الوقت يرى دونيا في موقفها ويشير اليها بعض الاشارات • بدا أنه يشجعها بتلك الاشارات على ترك أخيها واللحاق به حيث كان يقف •

وهكذا تصرفت دونيا ، اذ ابتعدت عن أخيها دون أن تنطق بكلمة واقتربت من سفيدريكايلوف •

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

همس سفيدريكايلوف قائلا :

ـ هيا اسرعي • لا أريد أن يعرف روديون رومانوفيتش شيئا عن لقائنا • انني أخطرك بأنني خرجت للتو من حانه قريبة من هنا ، حيث جاء يبحث عني هناك ، وانني وجدت صعوبة في التخلص منه • لقد بلغه شيء من الرسالة التي كتبتها لك • انه يرتاب في شيء ما • آمل أن لا تكوني قد تحدثت اليه بشيء • لكن اذا لم تكن أنت التي تحدثت، فمن الذي تحدث اذن ؟

قاطعته دونيا قائلة :

ـ ها قد انعطفنا حول زاوية الشارع ؟ ان أخي لا يمكن أن يرانا الان • انني أصرح لك بأنني لن أتبعك الى أبعد من هنا • فاخبرني بكل ما تريد • اذ يمكن التحدث بكل شيء في الشارع •

ـ أولا ان الأمر لا يمكن التحدث عنه في الشارع • ثانيا ينبغي أن تسمعي أقوال صوفي سيميونوفنا ، وثالثا لدي مستندات ينبغي أن تطلعي عليها ••• لكنك اذا كنت ترفضين المجيء الى مسكني فانني أرفض بدوري الادلاء بأي شيء وأذهب من فوري • أضف الى ذلك أنني أرجوك أن لا تنسي أن سرا خطيرا يتعلق بأخيك المحبوب موجود بين يدي •

توقفت دونيا مترددة وهي تسبر سفيدريكايلوف بنظرة عميقة •

قال هذا معقبا :

ـ مم تخافين ؟ ان المدينة ليست كالريف • لقد سببت لي في الريف من الإساءات أكثر مما سببت لك ••• وهنا •••

ـ هل أخطرت صوفي سيميونوفنا ؟

ـ كلا انني لم أهمس لها بكلمة • بل انني لست متأكدا مما إذا كانت الآن في مسكنها • لكنها ينبغي أن تكون هناك • لقد دفنت اليوم زوجة أبيها • ومثل هذا اليوم لا يصلح لقيامها بزيارات • انني لن

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أتحدث عن هذه الاشياء الى أي كان قبل اللحظة المناسبة • بل وانني آسف على ما أطلعتك عليه منها لأن أقل هفوة هنا تعادل تشهيرا كاملا • أنظري انني أقطن هنا ، في هذا البيت الذي أمامك • والبواب يعرفني جيدا ، ألا ترين أنه يحييني ؟ انه يرى أنني في صحبة سيدة ولا شك أنه لاحظ وجهك وعرفه وهذا يحملك على الاطمئنان اذا ما كنت تخافين مني أو كنت لا تثقين بي • أرجو أن تعذريني اذا كنت أتحدث اليك بهذه الغلظة • انني أسكن هنا مستأجرا عند سيدة ولا يفصلني عن مسكن صوفي سيميونوفنا الا جدار ، لأنها هي الاخرى تقطن في غرفة مؤثثة • ان الطابق كله مشغول بالمستأجرين • فلم اذن تخافين كالاطفال ؟ أأكون مرعبا الى هذا الحد ؟

أشرقت على وجه سفيدريكايلوف ابتسامة ليظهر وده وكرمه، لأنه كان في مسيس الحاجة الى الابتسام • بيد أن قلبه كان يقرع بعنف في صدره اللاهث • كان يحاول تغطية اضطرابه المتزايد بتصنع الخشونة في صوته • غير أن دونيا لم تلاحظ ذلك الاضطراب العنيف الذي كان يعصف بكيانه لأنها شعرت بانزعاج لاتهامه اياها بالخوف كالطفل الصغير وأظهر لها أنه يرعبها بهذا الشكل • فقالت :

ـ على الرغم من أنني أعتبرك رجلا ••• عديم الشرف • فانني لا أخاف منك مطلقا • سر أمامي •

كانت لهجتها هادئة شرسة لكن وجهها كان شديد الشحوب •

توقف سفيدريكايلوف أمام مسكن سونيا :

ـ اسمحي لي أن أتأكد قبل كل شيء مما اذا كانت سونيا في مسكنها • كلا ، يا لسوء الحظ ! لكنني أعرف أنها ستحضر بين لحظة وأخرى وانها اذا كانت متغيبة الآن فما ذلك الا لذهابها لمقابلة سيدة بصدد الايتام الثلاثة • لقد ماتت أمهم منذ حين ، وأخذت الأمر على

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

عهدتي . فاذا لم تعد صوفي سيميونوفنا خلال عشر دقائق فانني سأرسل من يبحث عنها اذا شئت . ها هو ذا مسكني ، وهاتان هما الغرفتان اللتان أشغلهما . ان صاحبة مسكني تقطن في الجانب الاخر من هذا الباب . والآن أنظري هنا ، سأطلعك على وسائلي الرئيسية : ان غرفة نومي متصلة بغرفتين أخريين خاليتين معدتين للايجار . ها هما ... ينبغي أن تنظري اليهما الآن بشيء من الانتباه .

كان سفيدريكايلوف يشغل غرفتين مؤثثتين فسيحتين . أجالت دونيا نظرة حولها بشيء من الحذر . فلم تجد شيئا مريبا ، لا في المسكن ولا في اعداد الغرف . لكنها كانت تستطيع أن تلاحظ أن مسكن سفيدريكايلوف كان يقوم بين مسكنين آخرين خاليين تقريبا اذ أن المدخل الى غرفتيه لم يكن يطل مباشرة على الردهة بل كان ينبغي للوصول الى مسكنه أن يتخطى الداخل غرفتين شبه خاليتين تشكلان جزءا من شقة صاحبة المسكن . فتح سفيدريكايلوف باب غرفة كان مغلقا بالمفتاح وأشار الى دونيا يدعوها الى دخول المسكن الخالي المعد للايجار ، فتوقفت على العتبة لا تفهم السبب الذي يدعوها سفيدريكايلوف من أجله الى ولوجها . بادر هذا الى تقديم التفسير :

ـ أنظري الى هذه الغرفة الثانية وتأملي هذا الباب . انه مغلق بالمفتاح . لاحظي أن هناك مقعدا قرب الباب وأنه المقعد الوحيد في هاتين الغرفتين . لقد جئت به بنفسي من مسكني لأصغي بشكل مريح . ان وراء هذا الباب مباشرة تقع منضدة صوفي سيميونوفنا . وقد كانت جالسة بالقرب منها تتحدث الى روديون رومانوفيتش . لقد قضيت هنا أمسيتين متعاقبتين جالسا على هذا المقعد أصغي طيلة ساعتين كاملتين كل ليلة . لقد أتاح لي ذلك الاطلاع على أمر ما . ماذا تعتقدين أنه يكون ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لقد استرقت السمع وراء الباب ؟

ـ نعم لقد استرقت السمع وراء الباب والآن عودي الى مسكني. فليس هنا ما نستطيع الجلوس عليه .

قاد أفدونيا رومانوفنا الى الغرفة الأولى التي يستعملها كغرفة استقبال وقدم لها مقعدا ، ثم جلس بدوره الى الجانب الآخر من المنضدة على مسافة من الفتاة . لكن عينيه كانتا تلتمعان بذلك البريق الذي كان يخيف دونيا من قبل . فسرت رعدة في أوصالها ، ونظرت مرة أخرى بحذر حولها . كانت تريد اظهار خوفها وحذرها . غير أن موقع مسكن سفيدريكايلوف المنفرد جعلها مشوشة البال قلقة . ودت لو سألت عما اذا كانت صاحبة المسكن موجودة . لكن اعتدادها وكبرياءها منعاها من القاء ذلك السؤال . كان قلبها فريسة ألم آخر شديد يفوق خوفها على نفسها . وأصبح القلق لا يحتمل فقالت وهي تضع الرسالة على المنضدة :

ـ هذه رسالتك . هل ما جاء فيها صحيح ؟ انك تلمح فيها الى جريمه تعتبر أن أخي ارتكبها . وتلميحاتك واضحة جدا فلا تحاول الآن استدراكها . اعلم أنني سمعت شيئا عن هذه القصة العجيبة قبل أن أطلع على رسالتك ، لكنني لا أصدق كلمة واحدة مما قيل ويقال. ان افتراضا كهذا مضحك وبشع معا . انني أعرف هذه القصة والطريقة التي حيكت بها . انه يستحيل عليك أن تقدم أي دليل على صحتها. لكنك وعدت باثبات قولك بالدليل . فتكلم اذن ! لكن اعلم أولا بأنني لا أصدقك ! كلا انني لا أصدقك .

نطقت دونيا بتلك الكلمات بحماسه وطلاقة فاصطبغ وجهها باللون الأحمر :

ـ ان الشجاعة لا تنقصك، ما في ذلك ريب. وقد كنت أعتقد أنك

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ستطلبين الى السيد رازوميخين أن يصطحبك الى هنا ، لكنه لم يظهر لا معك ولا في الأمكنة القريبة من هنا . لقد عنيت بالتأكد من ذلك بنفسي . وهذا دليل على تعقلك لأنك أردت التستر على رودیون رومانوفيتش . ثم ان الامر بالنسبة اليك يختلف عنه لدى أي شخص آخر . أما بما يتعلق بأخيك فماذا أقول لك ؟ لقد شاهدته منذ لحظات . انه جميل ، أليس كذلك ؟

ـ انك لا تبني أقوالك على هذا فقط ؟

ـ كلا انني لا أبنيها على هذا ، بل على أقواله الشخصية . لقد جاء ليلتين متعاقبتين الى مسكن صوفي سيميونوفنا ، وقد بينت لك المكان الذي يجلسان فيه . لقد اعترف لها اعترافا كاملا . انه قاتل ، لقد قتل المرابية العجوز التي كان قد رهن بعض أشيائه عندها ، وقتل كذلك أختها المدعوة اليزابيت والتي كان من تعاستها أن دخلت عندما كان قد فرغ من قتل الأولى . لقد قتلهما ليسرق وقد سرق . لقد أخذ نقودا وحليا ... لقد قص بنفسه هذا القول كلمة فكلمة على صوفي سيميونوفنا . انها وحدها تعرف هذا السر لكنها لم تكن مشتركة في الجريمة لا بالقول ولا بالفعل ، بل انها ذهلت لاعترافه تماما كما أنت ذاهلة الآن . انما لك أن تطمئني ، لأنها لن تشي بأخيك .

تمتمت دونيا ، وقد ابيضت شفتاها واختنق صوتها :

ـ ان ذلك لا يمكن أن يكون ! إن ذلك لا يمكن أن يكون ! لم تكن لديه أية أسباب أو مبررات ... ان هذا خطأ ! ان هذا خطأ !

ـ لقد سرق والمبرر هو السرقة ! لقد أخذ مالا وحليا . صحيح أنه ـ حسب اعترافه ـ لم يستفد لا من هذا ولا من تلك ، بل انه أخفاها تحت حجر حيث لا زالت حتى الآن ، لكن ذلك مبعثه خوفه من استعمال تلك المسروقات .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

هتفت دونيا ، وهي تنهض واقفه بانتفاضة عنيفة :

ــ هل يتقبل العقل أن يكون أخي سارقا ؟ بل أن يكون قد فكر في هذا مجرد تفكير ؟ انك تعرفه ، وقد رأيته ، فهل يمكن أن يكــون لصــا ؟

كانت تتوسل الى سفيدريكايلوف بعد أن نسيت خوفها .

ــ ان في العالم يا أفدونيا رومانوفنا ملايين وملايين من الاصطلاحات والانواع . فهناك لص يمارس السرقة لنفسه ولا ينكر أنه لص. وقد سمعت بنفسي عن شخص ذي مجتد من أسره كريمة سلب عربة بريد . من يدرى ؟ لعله فكر بعملية أسوأ من ذلك ! لا شك أنني كنت سأنصرف مثل تصرفك لو أن الامر نقل الي من قبل شخص ثالث. لكنني لا يمكنني أن أغالط ما سمعته بأذني . لقد سرد على صوفي سيميونوفنا الاسباب الموجبة كلها . لكن هذه أيضا لم تكن تريد تصديق أذنيها . ولولا أنها شهدته بعينيها لما آمنت بأقواله .

ــ ماذا كانت ... تلك الاسباب اذن ؟

ــ ان نقل هذه الأسباب يا أفدونيا رومانوفنا سيطول شرحه . كيف أفسر لك الأمر ؟ انه يستلهم نظريته العتيدة التي تتيــح لي مثــلا ارتكاب اثم بديع اذا كان هدفي الرئيسي صالحا وعادلا ! أي أن اثمــا واحدا تبرره مائة حسنة ! ثم أليس مخزيا بالنسبة الى شاب موهوب ذي كرامة لا تضاهى أن يعتقد بأنه لو امتلك ثلاثة آلاف روبل فقط لأمكن تبديل حياته ومستقبله كله ؟ فيرى بعد ذلك أنه لا يمتلك تلك الآلاف الثلاثة من الروبلات ؟ أضيفي الى ذلك الانفعال الذي يحدثه الجــوع والبرد والزاوية التي يعيش فيها والأسمال التي يرتديها والضمير الحي والمركز الاجتماعي الذي يشغله ثم موقف أمه وأخته ــ وكذلك عــلى ما أظن ــ الغرور والكبرياء مع ــ والله يعلم ــ بعض العواطف الطيبة

CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الأخرى !.. انني لا أتهمه ولا أريد اتهامه . فأرجو ألا تصدقي ما قلت. ثم انني لست في مركز يخولني الاتهام . لقد كان يحتفظ بنظريته فوق كل ذلك ـ تلك النظرية التي تساوي نظرية أخرى مماثلة ـ والتي بموجبها تنقسم الانسانية بين رجال ومواد أولية ، أي بين رجال موهوبين يمتلكون مستوى عقليا عاليا يرفعهم فوق القوانين ويجعلهم يملون شرائعهم وقوانينهم على الآخرين ، على أولئك الذين يشكلون المواد الاولية أو التراب البشري . نعم انها نظرية كأية نظرية أخرى . انه شديد الاعجاب بنابليون حتى أنه استسلم الى اعتبار ينص على أن العباقرة لا يصغون عادة الى حالات التعسف الشخصية ، بل انهم يتجاوزونها دون أن يشعروا بأي ارتباك . فتخيل نفسه ـ كما أعتقد ـ أحد أولئك العباقرة ، أو أنه على الأقل اقتنع بذلك خلال فترة من الزمن . لقد تألم كثيرا أو لا زال يتألم حتى الآن كلما شعر أنه كوّن نظرية دون أن يستطيع تنفيذها والتجاوز عن حالة خاصة بملء ضميره ليثبت لنفسه أنه رجل عبقري ! نعم ، ان ذلك يخجل شابا يعمر الاباء قلبه خصوصا في زمننا هذا ...

ـ لكن أين تبكيت الضمير ؟ انك تنكر عليه كل احساس أخلاقي، فهل كل ما نقوله حقيقة ؟

ـ آه ، يا أفدونيا رومانوفنا ! ان كل شيء قد أصبح اليوم عاليه سافله . أضيفي الى ذلك أنه لم يسر حتى اليوم نظام شديد الكمال. أن الروسيين بصورة خاصة ، يا أفدونيا رومانوفنا ، ذوو عقول كبيرة واسعة كأرضهم ، وهم ميالون الى الفوضى والأهواء العابرة . انه من الخطر كل الخطر أن يكون للمرء عقل كبير دون أن يوهب شيئا من العبقرية . تذكري أحاديثنا القديمة حول هذا الموضوع عندما كنا في الريف جالسين ذات مساء بعد طعام العشاء على الشرفة . لقد كنت ذلك

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الحين تعبين علي ذلك الاتساع الفكري ... من يدري ؟ لعلنا حينما كنا نتكلم في هذا الأمر كان « هو » يصمم ويتدبر عمليته التي نحن بصدد التحدث عنها . ان التقاليد المحترمة لا تسمو في مجتمعنا المثقف . ان بعضها يؤخذ من الكتب ... أو أنها تنقل مشوهة عن الأقاويل القديمة . غير أن معظمهم علماء يبلغ من سخفهم وتعنتهم أن الرجل العادي يخجل من مقارنة نفسه بهم . على كل حال انك تعرفين آرائي بصورة عامة . أنا لا أتهم أحدا، وانني شخصيا أتحاشى الاندماج في شيء من هذا . لقد تحدثنا فيه أكثر من مرة ، وأعتقد أن نظرياتي لاقت بعض القبول منك. انك شديدة الشحوب، يا أفدونيا رومانوفنا.

ـ انني أعرف النظريات التي يبشر بها . لقد قرأت في احدى المجلات مقالا عن الاشخاص الذين يباح لهم كل شيء . لقد جاءني رازوميخين بتلك المجلة .

ـ السيد رازوميخين؟ هل أتاك بمقال لأخيك ؟ هل مثل هذا المقال موجود ؟ انني كنت أجهل ذلك . لعمري ان هذا غريب . لكن الى أين تذهبين ، يا أفدونيا رومانوفنا ؟

أجابت دونيا بصوت مختنق :

ـ أريد رؤية صوفي سيميونوفنا . أين الطريق الى غرفتها ؟ لعلها رجعت . أود رؤيتها فورا . ينبغي أن تكون ...

لم تستطع أفدونيا رومانوفنا متابعة قولها فقد شعرت بضيق في تنفسها واحتبس صوتها :

ـ أعتقد أن صوفي سيميونوفنا لن تعود قبل حلول الظلام لأنه كان عليها أن تكون هنا منذ زمن طويل لولا أن ...

صرخت دونيا ، وهي فريسة انفعال مجنون وقد فقدت السيطرة على أعصابها :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor